المقتطف

الجزء الاول من المجلد الخمسين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٧ — الموافق ٧ ربيع الاول سنة ١٣٣٥

الامبراطور فرنسيس جوزف

ثار النمسويون سنة ١٨٤٨ وطلبوا قلب الحكومة المطلقة وابدالها بحكومة دستورية واستولوا على فينا فهرب منها الامبراطور فرديننـد وسائر الاسرة المالكة والبطانة الامبراطورية وكبار رجال الحكومة الى مدينة اولمتز احدى مدائن مورافيا واقاموا في مضارب نصبوها في ارباض المدينة ما عدا الاسرة المالكة . والذي يراجع تاريخ الثورة يرى ان جنود الحكومة استرجعت فينا من ايدي الثوار بعد قتال شديد ولكنهُ يرى ايضاً ان الاهالي لم يذعنوا الا مكرهين وان اشد الضغط على البرنس متزنيخ وزير الامبراطورية المستبد وعلى الامبراطور فرديننـد الذي كان ضعيف الارادة على حسن طويتهِ لم يخف مثقال ذرة . وان الام المخلقة التي كانت اسرة هبسبرج تحكمها قد سئمت ذلك الحكم وملتهُ

وكانت المفاوضات قد دارت في مجامع الاسرة المالكة منذ الربيع السابق اي منذ فرّ متزنيخ هاربًا من فينا ولجأ الى انكلترا وقرّ قرار المتفاوضين على ان يتنازل الامبراطور فرديننـد عن سرير الملك و يخلفهُ ابن اخيهِ الارشيدوق شارل فرنسيس جوزف . ولكن لم يجاوز هذا القرار ستة كانوا جميع من عرف بهِ . والغريب ان الارشيدوق اخي الامبراطور لم يكن منهم ولا متزنيخ صاحب الحول والطولـــ الذي قضى اربعين سنة وهو كاتب سرّ الدولة ومستودع اسرارها . وفي ربيع السنة المذكورة كتبت الارشيدوقة صوفيا ام صاحب الترجمة كتاباً الى متزنيخ وهو في لندن تقول فيهِ :

« لقد كان فرائزي عزائي الوحيد في محنتنا . ولطالما حمدت الله في وسط شدائدنا لانهُ اعطانيهِ كما هو . فان شجاعتهُ ورباطة جاشهِ وصراحتهُ في فكرهِ وفعلهِ تحيي فينا الرجاء ان الله يفتح في وجههِ باب المستقبل ما دام قد خصهُ بما خصهُ بهِ من المواهب » . فاجابها متزنيخ

جواباً قال فيهِ « اني خلقت اشتراكياً بحتاً وكنت دائماً احب السياسة ترفة من الترف بازاء الخاطر الاشتراكية . وليس الذنب ذنبي ان لم ألقَ تأييداً بذكر في الاتجاه الذي يتجه اليهِ عقلي والذي سارت فيهِ افعالي »

وفي صباح اليوم الثاني من دسمبر اتت ارتال المركبات على اختلاف انواعها تؤمُّ القصر الذي نزلت فيهِ الاسرة المالكة في مدينة اولمتز وكانت هذه المركبات تقلُّ الوزراء والسفراء والحشم بملابسهم الرسمية بين صفوف الجند على جانبي الطريق . ولم يكن احد خارج القصر يعلم مغزى تلك الحفلة حتى الوزراء والسفراء الذين دعوا اليها وكلُّ ما كانوا يعلمونهُ انهم دعوا بتذاكر الى غرفة العرش في القصر ليكونوا هنالك الساعة الثامنة صباحاً . فلما بلغوها لم يروا شيئاً غير عادي فيها سوى دكة عليها كرسيان زينا بشعار بيت هبسبرج واماهما كرسي اسود من الخشب وعائدة صغيرة عليها بعض اوراق وقد وقف بجانبها شاب يجرب الاقلام ويرتب الاوراق

وسأل احد الارشيدوقين وزير الحربية قائلاً « ماذا نحن صانعون هنا » . فاجابهُ الوزير « مشغولون عن قريب » . وما كاد يفرغ من جوابهِ حتى فتحت الابواب فدخل الامبراطور فرديننند والامبراطورة واخوهُ الاكبر وابناء اخيهِ وسائر رجال الاسرة المالكة والحاشية الامبراطورية بالالبسة المعتادة . وكان الارشيدوق فرنسيس جوزف بكر اخي الامبراطور بلباس كولونل في الجيش ووجههُ ممتقع والامبراطور عمهُ في اضطراب بادي الاثر على ملامحهِ ولاسيما ان مرضهُ والحوادث الاخيرة زادتهُ ضعفاً على ضعف

فتبوأ الامبراطور والامبراطورة مقعديهما ووقف الارشيدوقون والارشيدوقات حولهما ثم دنا البرنس شوارزنبرج القائد المشهور من الامبراطور وسلَّم اليهِ رزمة مختومة . ففكها بيدين مرتجفتين وقرأ رسالة فيها بضعة سطور خافت لكنهُ واضح . والرسالة وجيزة قال فيها انهُ تنازل عن الملك لابن اخيهِ الارشيدوق فرنسيس جوزف . وبذلك كشف السرُّ الذي بقي مكتوماً كل تلك السنين . ولم يتوقع اعلانهُ هذا موتهُ عظيم . وبينما امضى كبار الحاضرين صك التنازل دنا الامبراطور الجديد والدموع تترقرق في عينيهِ من عمهِ وخرَّ امامهُ راكعاً كأنما يستمدُّ دعاءهُ ويعتذر عن الحلول محلهُ . ثم انفضَّ الجمع وامتطى الامبراطور الجديد صهوة جوادهِ واستعرض الجيش في ساحة القصر فكان ذلك اول عمل عملهُ في منصبهِ الجديد

وفي اليوم التالي لهذه الحفلة نفخ في الصور في جميع مدن الامبراطورية اعلاناً لجلوس

الامبراطور الجديد . ولم يكن التلغراف قد اخترع حينئذٍ فلم يبلغ فينّا نبأ جلوسهِ الاَّ بعد مضي يوم ونصف يوم على احتفاله . فابتهج القوم بهذه البشرى وصاحوا ليحي فرنسيس جوزف الاول الامبراطور الدستوري . ولم تكن مهمة الامبراطور باليسيرة ولا التاج الذي لبسهُ بالخفيف فانهُ دعي ليملك على شعب ساخط لم يكن الحكم يرضيهِ ولا الجهل يبهج فيهِ — شعب يطلب حق انتخاب حكامهِ وان يُحكَم طبقاً لاساليب الحكم الدستوري الحديث

***

ولد الامبراطور فرنسيس جوزف في ١٨ اغسطس سنة ١٨٣٠ في لكسنبرج على مقربة من ڤينّا . وكان جدّهُ الامبراطور فرنسيس الاول يحبهُ حبًّا جمًّا . وكثيراً ما كان يدخل غرفة جدهِ وهو مشتغل بشؤون المملكة فيلعب ساعات طوالاً وكان جدّهُ يترك شغلهُ احياناً ليلاعبهُ . يحكى انهُ في عيد ميلاده الرابع كان يلعب في حديقة القصر مع جدّهِ باللُّعب والدمى التي جاءتهُ في عيدهِ فرأى على مقربة منهُ الديدبان فنظر اليهِ محدقاً ثم التفت الى جدهِ سائلاً أليس بصحيح ان هذا الجندي فقير يا جدّي . فقال الامبراطور وما الذي يجعلك تظنهُ فقيراً . قال لانهُ مضطرٌ ان يقوم بعملهِ . فقال الامبراطور كلٌّ منّا الغني والفقير مضطر ان يقوم بعملهِ حتى الامراء . ولكن هذا الرجل فقير كما قلت فخذ واعطهِ هذه النقود . فهبَّ الى الجندي جذلاً ليناولهُ اياها قائلاً ان جدّي ارسل اليك هذه النقود . فانقض الجندي راسهُ علامة الرفض لان الاوامر العسكرية تمنعهُ من اخذ شيء . فجعل الامير اصبعهُ في فيهِ علامة الخيبة والاستحياء وهو يقلّب عينيهِ بين جدّهِ والجندي فقال لهُ جدّهُ ضع النقود في علبة الخرطوش . وكانت العلبة عالية لا يبلغ اليها معا تطالَ . وتحاول فتقدم الامبراطور اليهِ ورفعهُ بين يديهِ هو والامبراطورة حتى وضع النقود في العلبة وهو يقول لم يبقَ الجندي فقيراً يا جدي

ولما بلغ الخامسة من سنهِ توفي جدّهُ فربتهُ امهُ هو واخوتهُ الثلاثة ومنهم مكسيليان امبراطور المكسيك العاثر الجد . وامراه هبسبرج يربون على قاعدة وضعها الامبراطور جوزف الثاني وهي « يستطيع كلُّ نمسوي ان يقول انهُ اذا كان ابنهُ من المفخمين نفع الحكومة بخدمتهِ واذا كان من المحققين لم تلحق بها ضرًّا اذ لا يولَّى منصباً من مناصبها اما الارشيدوق الوارث لسرير الملك فليس في مثل هذا المركز لانهُ لما كان سيتولى يوماً ما اعظم مناصب الامبراطورية فليست المسئلة هل يكون صالحاً لذلك المنصب او غير صالح بل المسئلة انهُ يجب ان يكون صالحاً له لان كلَّ دخيلة من دخائل عملهِ لا يتعلمها تماماً ولا يشرب في

نفسه رأياً صحيحاً فيها ولا يتروض جسمهُ وعقلهُ على قضائها انما هي ضربة ولعنة على بلادهِ »

وكان همّ والدتهِ في اختيار مربيهِ ومعلميهِ ان يكونوا كاثوليكاً حسان الايمان لا معلمين متقنين للعلوم المختلفة احسن اتقان فكانت النتيجة انهُ نشأ غير متقن لتلك العلوم وخصوصاً الطبيعة والتاريخ على شدة لزوم هذا الاخير للملوك فاضطر فيما بعد ان يسدَّ هذا النقص بدرس التاريخ لنفسهِ ولكنهُ تفقه في اللغات التي يتكلمها رعاياهُ فكان يتكلمها ويقرأها جيداً منذ صغرهِ ثم درس فيما بعد الفرنسوية واللاتينية واليونانية القديمة

وكانت تربيتهُ هو واخوتهِ على غاية ما يكون من الشدة حتى قلما كان يسمح لهم باللعب والرياضة البدنية فكانت النتيجة ان السوداء تسلطت عليهِ فنشأ سكوتاً قليل الكلام كثير الحياء عصبي المزاج الى الحد الاقصى حتى كان يرتعد فرقاً كلما جيءَ اليهِ بفرس يركبهُ ويبكي بدموع سخينة . ولم يكن في بادئ امرهِ يميل الى الدروس العسكرية ولكن معلمهُ كان معروفاً بالمقدرة الفائقة والكفاءة النادرة فوضع خطةً لتعليمهِ فحواها ان يخدم في جميع فروع الخدمة العسكرية كمأثر « الانفار » بحجة ان من يقود الجيوش يجب ان يعرف جميع دخائل الخدمة من ادق دقائقها الى اكبرها

ولما بلغ السادسة عشرة عُين لهُ معلم من طراز آخر . ولم يكن معلمهُ هذا قسيساً ولا جندياً بل اعظم سياسي في زمانهِ واقدر رجال السياسة على رسم الخطط السياسية واوسعهم حيلة وهو البرنس مترنيخ المتقدم ذكرهُ ولكن ضغط الرأي العام ويقظة روح الوطنية في الصدور وغير ذلك من الاحوال الجديدة لم تسمح لهُ بالانتفاع من دروسهِ وتطبيق العلم فيها على العمل

وكان قبل ارتقائهِ الى سرير الامبراطورية قد انتدب من قبل عمهِ الامبراطور سنة ١٨٤٧ لينوب عنهُ في احتفال اقيم في بودابست عاصمة المجر . وكانت الحركة المجرية الوطنية اذ ذاك في اول ادوارها والعلاة من المجر يطلقون اعظم شأن على احلال امتهم الوطنية محل الجرمانية او اللاتينية في الاشغال الرسمية . ولم يكن امير من امراء البيت المالك حتى ذلك العهد قد كلَّف نفسهُ تعلم المجرية . فلما رقص في الحفلة ورأى السادسين بامتهم الوطنية نهضوا من مجالسهم نهضة رجل واحد وهم يصيحون « أحيِ المجر » ويلوحون بسيوفهم علامة الفرح الشديد على عادة المجر . وبعد ذلك ببضعة اشهر ثارت المجر على الامبراطور فرديناند كما تقدمت الاشارة فنهض في مجلس النواب نائب ذكَّر اخوانهُ خطبة الارشيدوق الصغير بالمجرية واقترح ان ينتخب ملكاً للمجر . وما كاد يتمُّ كلامهُ حتى صاح رجال المجلس موافقين عليهِ وبلغت اصواتهم العنان وكان هذا النائب كوسوث المشهور . واشد خبر ما جرى في المجلس

الى النمسا فرددت صداهُ في ثورة سنة ١٨٤٨ وكانت النتيجة انهُ بينما كان امراء هبسبرج يهانون جهرة في كل مكان كان الارشيدوق فرنسيس جوزف يُقابَل بالاحترام حيثما سار وايان كان

ولما جُعل امبراطوراً اتخذ شعاراً لهُ كلمتين لاتينيتين معناهما الاتحاد قوة علماً منهُ بلزوم اتحاد جميع القوى لحم الامبراطورية النمسوية المتنافرة الاجزاء الحاوية لجميع الاجناس وجمع شتاتها وجعلها جزءاً واحداً لا يتجزأ . وقد رأى بعين بصيرتهِ ان النمسا المجوز لا بدَّ ان تموت ثم تنتفض من قبرها فتبعث شابة متجددة الصبا وان هذا الغصن الغضَّ الشباب لا بدَّ ان ينشأ من ذلك الجذع القديم الناخر . وقد سمَّ شعبهُ منهُ اتخاذهُ اسم فرنسيس جوزف مذكراً اياهم باكرم ملوكهم جوزف الثاني الذي لا يزال اهل النمسا يرددون ذكراهُ وفرنسيس زوج ماريا تريزا الذي صيَّر النمسا عظيمة رغم ما اصابهُ من الرزايا والمحن

ولما دخل عاصمتهُ دخلها متنكراً بلا ابهة ولا تخفخة واندفع في مهام الملك لا يحولهُ عنها رغبة او رهبة . وكان يقضي معظم وقتهِ مكبّاً على الدرس والعمل واقتصرت رياضتهُ الجسمية على مشية قصيرة وركبة سريعة وحضور التمثيل المرة بعد المرة . قال البرنس شوارزنبرج يصف رغبتهُ في العمل «اذا كانت المسئلة مسئلة شغل من اشغال الدولة استطعت مقابلة الامبراطور متى تكن الساعة» . وقد لخص الكونت باول فاسيلي صفات الامبراطور بقولهِ ان اصدق وصف ينطبق عليهِ ما وصف بهِ نفسهُ اذا صحَّت رواية الكونت اندراسي . فقد قال في بعض احاديثهِ « اني اشكر الله لان الذين اتهموا بخيانة الدولة وحكم عليهم بالقتل لم يقتلوا كلهم لاني جعلتهم فيما بعد رؤساء للوزارة »

ويقال ان الغضب والحدة لم يأخذا منهُ مأخذاً في شبابهِ ولا في شيخوختهِ بل عرف كيف يعالج الامور بالصبر والتأني . وقد جمع في كثير من صفاتهِ واخلاقهِ بين الاضداد فكان أتعس الملوك حظاً واكثرهم نجاحاً . وكان مكروهاً ومطاعاً في وقت معاً . قال فيهِ بعض معارفهِ انهُ لم يفلح في مسألة كبيرة عالجها وطرق بابها ولكنهُ صار في اخريات ايامهِ عشرة اضعاف ما كان في اوائلها في قوتهِ وامتلاك قلوب رعيتهِ واحترامهم اياهُ . فقد غُلب في معركة اثر معركة وكان غرض الرماة من دهاة الفرنسويين والايطاليين والالمان على التوالي ولكن بقي جيشهُ الضخم يقتفي كل خطوة من خطاهُ طائعاً ملبياً . ويلخص تقهقر النمسا في عهدهِ انها صارت اذا ارادت امراً لم يشك سياسي من الساسة انها تنالهُ . فقد غلبتهُ فرنسا سنة ١٨٦٠ فاخرجتهُ من لمبارديا . وغلبتهُ بروسيا سنة ١٨٦٦ فاخرجتهُ من المانيا . واضطر سنة ٨٤٨ : ان يستعطي من روسيا وسنة ٨٦٧ . ان يذعن لقومهِ المجر ولكنهُ بقي الى اخريات

ايامهِ عظيماً كما كان في اوائلها وعدد رعيتهِ لم ينقص وزاد جيشهُ وكثر دخلهُ . ولم ينتصر في زمانهِ في معركة ولكن قوتهُ الحربية بقيت عظيمة . ومع كثرة اخفاقهِ في السياسة اضاف الى بلادهِ مقاطعات كبيرة من غير ان يستلَّ سيفاً او يطلق بندقية . وقد اطفق النار على عاصمتهِ في اول ملكهِ ولكنهُ بقي يتأوس خلالها ويمشي في ارباضها مرحاً وهو لا يخشى بأساً . وارهق نصف رعيتهِ قتلاً ثم اكتسبهم ثانية فصاروا بذلك اعظم ولاءً واخلاصاً لهُ وبقي ذلك الولاء اللحمة الوحيدة التي تلأم ممالكهُ المختلفة

زار بلدة ايشل سنة ٨٥٣ للاحتفال بميلادهِ بين اسرتهِ فاقامت امهُ الارشيدوقة صوفيا مرفصاً لهُ ولاخوتهِ لانهم كانوا يحبون الرقص كثيراً اهل ثينا . وكان بين الاضياف الدوقة لويز الباڤارية وابنتاها الكبيرتان هلانة والبزابت فدعاهنَّ الى الليلة الراقصة فلبت الدوقة الدعوة وسمحت لابنتها هلانة ان تذهب معها اما ابنتها الاخرى فاعتذرت عنها بان ليس عندها ثياب تليق بالحفلة . ولكنهُ كان قد رأى هذه الاميرة هنيهة واثنى بجمالها فالحَّ على امها في احضارها الى حفلة العيد معها ولم يقبل عذراً وقال ان ابسط الملابس ووردة في شعرها يجملانها ملكة العيد

فلم يسع امها سوى الامتثال بعد هذا البيان فكانت البزابت ملكة العيد فعلاً وعادت متهُ ملكة قلب صاحبهِ وامبراطورة النمسا العتيدة . يحكى ان الامبراطور رقص معها طول ليلة الحفلة ولم يرقص مع سواها فلحظ الحضور ذلك وتقولوا فيهِ الاقاويل الكثيرة . وعند منتصف الليل قُدِّم الشاي فاغتنم الامبراطور والاميرة هذه الفرصة ودنوا من منضدة عليها كتاب صور للازياء المختلفة التي تلبس في ولايات النمسا الثاني عشرة . فجعل الامبراطور يقلبهُ ويري الاميرة ما فيهِ ثم قال لها « هؤلاء رعيتي فقولي كلمة واحدة تملكي عليهم مثلي » . ثم مد يدهُ اليها فصافحتهُ ولم تتبس بكلمة . وعلى اثر ذلك قال لها « ساقدم اليك طاقة الخطبة فيما بعد » . ولم يلبث طويلاً ان برَّ بوعدهِ وقدم اليها طاقة من الازهار جمعها بيدهِ من جبال الالب

وفي اليوم التالي وقفت مركبتهُ عند باب المنزل حيث كان الدوقة مقيمة هي وابنتاها فسأل عن البرنسس البزابت فيهِ فقيل لهُ انها تلبس ملابسها فقصد غرفة امها وخطب اليها ابنتها . ثم لم يمضِ نصف ساعة حتى دعي اعضاء بيت المال الذين كانوا في ايشل الى كنيستها وهناك أُعلنت رسمياً خطبة امبراطور النمسا للبرنسس البزابت الباڤارية

وفي شهر ابريل من سنة ٨٥٤ دخلت هذه الاميرة فينا رسمياً حيث احتفل بزواجها

احتفالاً نادر المثال . وكان الوئام رائدهما حتى في مصائبها المشتركة وخصوصاً مقتل ابنها الوحيد . ففي تلك المحنة كتب الامبراطور كتاباً الى احد اصدقائه قال فيه « لو تعلم كم لقرينتي الحبيبة من الدَّين عليَّ في هذه الايام المرّة وكم ألقى من العون منها . قل هذا لكل احد وكلما اذعته كان ثنائي عليك اجزل »

وقد كان من فضائلها عدم تعرضها للسياسة حتى قالت مرة لجوكاي الروائي المجري المشهور انها لا تبالي بالسياسة ولا تفقه لها معنى . فاجابها « ان اسمى السياسات اكتساب القلوب وهذا تعريفهُ جلالتك تمام المعرفة »

وولد لها اربعة اولاد البكر ابنة عاشت سنتين . والثاني البرنس جيزلا قرينة البرنس ليوبولد البافاري . والثالث البرنس رودلف ولي العهد الذي اشتهر بالفجاره . وكان ميّالاً الى الآداب والتأليف دون السياسة والعسكرية كثير الافتكار في الموت . نعي اليه ذات يوم احد رجاله لحزن وقال « من يعلم من يتلوهُ منّا » وكان ذلك بلهجة فهم منها سامعوهُ انهُ يلمح الى انهُ هو نفسهُ قد يكون التالي . ويقال ان خيبة رجائه من ولادة ابن لهُ يكون وارث الملك بعدهُ صغرت هذه الدنيا في عينيه وحببت الآخرة اليه . اما حكاية موته فتلخص بما يأتي

تزوج سنة ١٨٨١ البرنس ستيفاني احدى بنات ملك البلجيك وكانت على احسن ما يكون من الخلق والخُلق محبوبة لدى الامة واهل البلاط الامبراطوري ولم يرزق منها سوى ابنة وهي الارشيدوقة الزابت ولا ترث الملك بعدهُ بموجب قانون البلاد . على ان زواجهما لم يكن هنيئاً ولم يعرف سبب ذلك تماماً . وكانت وساوس المتطيرين قد ملأت الآفاق في اثناء خطبتها ثم طارت الانباء تترى من فينا الى ابوي الارشيدوقة بما بينهما من الشقاق والنزاع . ثم شكت قطيعة الارشيدوق لها واستأذنت في الرجوع الى قومها وطلبت الطلاق بموافقة الارشيدوق ولكن طلبها لم يجدها نفعاً لانهُ مخالف لقانون الكنيسة الكاثوليكية ولاسيما ان اهل الاسرتين النمسوية والبلجيكية اشتهروا بشدتهم بمقائد كنيستهم

وسعى كثيرون في اصلاح ذات البين مراراً فاخفقوا . وفي ٣١ يناير سنة ١٨٨٩ ذاع نبأ وجود ولي العهد ميتاً في قلعة ميرلنج حيث كان يقضي موسم الصيد . ولم يسع الدوائر الرسمية كتم الحقيقة فشاعت وهي ان الارشيدوق انتحر هو والبارونة ماري فتسيرا وهي التي وافق على الطلاق من اجلها . وكان قد التمس من ابيه اذا لم يسمح لهُ بالطلاق ان يتنازل عن الملك و يعيش مع خليلته هذه في عزلة

ومما عرف بهِ الامبراطور المتوفى ميلهُ الى الانفراد وعدم اشتراكهِ في المظاهرات والحفلات العمومية الكثيرة التي قيمت في عهد ملكهِ الطويل ما عدا مرتين الاولى سنة ١٨٦٧ يوم توج ملكاً على المجر. فانهُ ركب جواداً اشهب واستحثهُ صعداً الى راس العدوة المطلة على بردابست وهناك ضرب الهواء بسيف مثياس كورفن[1] شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً اشارة الى استيلائهِ على تاج سان استفانوس[2] والى ان المجر اصبحت من ذلك العهد مستقلة في ملكها وبرلمانها مع بقائها جزءاً متحداً بالسلطنة النمسوية

والثانية سنة ١٨٧٩ لما احتفل هو وقرينتهُ بعيد زواجهما الفضي. فاقامت فينّا احتفالاً شائقاً يفوق في ابهتهِ ومجالي فخفختهِ ومظاهر الثراء والرخاء التي تجلت فيهِ كل ما عرف قبلهُ. ثم قامت تحاول الاحتفال بعيد جلوسهِ الاربعيني في ٢ دسمبر سنة ١٨٨٨ ولكنهُ نشر منشوراً على شعبهِ طلب منهم الامتناع عن اقامة معالم الافراح وقال انهُ يعرف ولاءهم واخلاصهم وشكرهم على حسن ظنهم وقال اذا شئتم مسرتي فاليكم عن الاسراف في النفقات وعن الخطب الفارغة وعن كل ما ليس لهُ قيمة حقيقية دائمة وقفوا الاموال التي تريدون انفاقها في هذا السبيل على اعمال البرّ ورفع شأن الفنون والعلم والصناعة وسائر ما يرمي الى الخير العام. وليبرهن لقومهِ على انهُ يريد منهم تطبيق العمل على القول في هذه النصيحة سافر الى قصرهِ في ميرامار على ساحل الادرياتيك حيث قضى يوم العيد في عزلة تامة ولم يصحبهُ اليهِ سوى قرينتهِ

وكان اعظم الضربات عليهِ بعد انتحار ولي عهدهِ قتل قرينتهِ الامبراطورة بيد فوضوي ايطالي في جنيف سنة ١٨٩٨. وقتل اخيه مكسيليان امبراطور المكسيك بقرار مجلس حربي

ومما يدلُّ على شدة تعلق شعبهِ بهِ اعتقادهم بان الرزايا التي المت بالدولة والاسرة في عهدهِ انما جرتها احوال لم يكن لهُ طاقة بها وان المعارك التي خذلت الحظ فيها مثل ماجنتا وسولفرينو وسادوى لم تكن من يدهِ بل من يد غيرهِ. وان كانوا قد اسفوا لخذلان جيشهم في تلك المعارك فقد كان اسفهم لانها كلفت نوّاد مليكهم كما كلفت انشدتهم رحبوهُ غرض المعارك الاول وكلّ الصيد فيها فلذلك اقبلوا بكليتهم عليهِ يفدونهُ بالمهج والارواح ويحسبون ان واجبهم المقدّم الامتناع عن كل ما من شأنهِ ان يشتّ منهُ رائحة تمنيهم اياهُ على تلك الحالة. وقد كانت وفاتهُ في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر الماضي

---

(١) احد ملوك المجر القدماء (٢) القديس الحامي للمجر

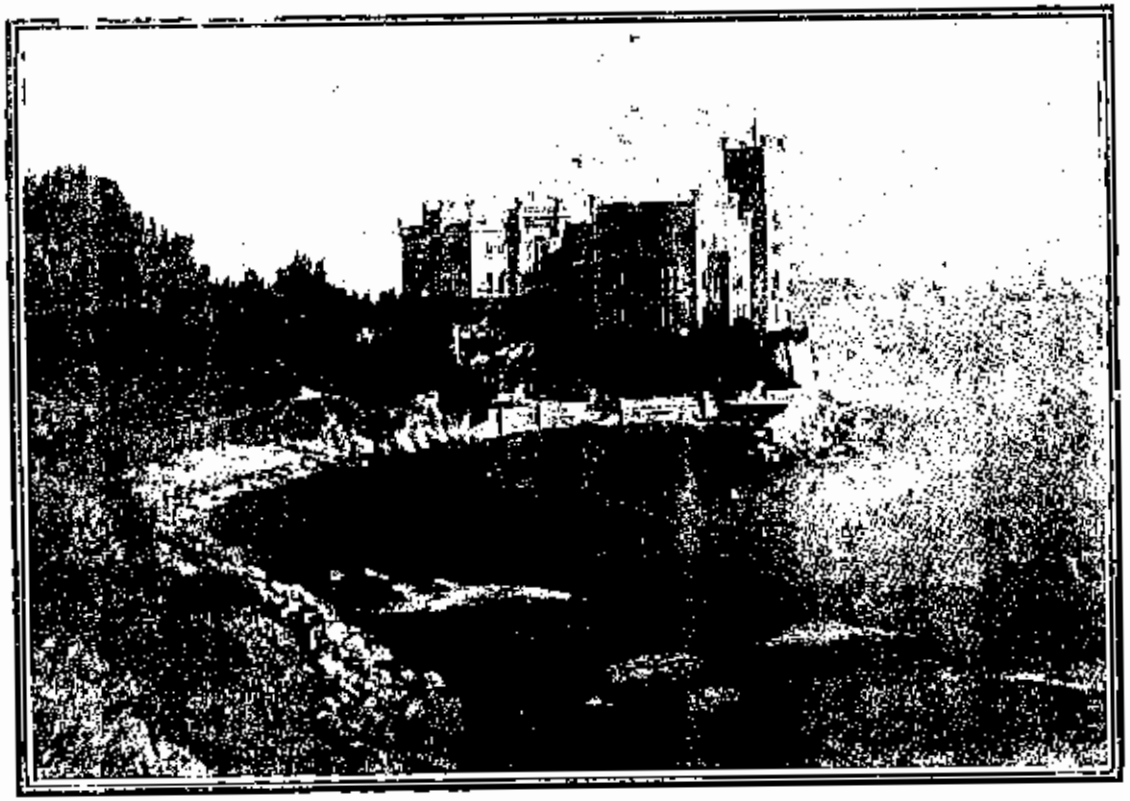

قصر سيراماز مصيف امبراطور النمسا

ملتقطف يناير ١٩١٧
امام الصفحة ٨

الشيخوخة وأمالي حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٣) طول الحياة في الرتب الحيوانية

تختلف المدة التي تحياها الحيوانات اختلافاً كبيراً والحدود بينها متباعدة كثيراً فمنها ما لا تتجاوز مدة حياته الكاملة من البيضة الى الموت خمسين ساعة او ستين كذكور بعض الحشرات ومنها ما يعيش مئة سنة او مئتين كبعض الزحافات

وقد حاول العلماء وضع قوانين لتعيين مدة الحياة الكثيرة التباين والاختلاف وذهبوا في ذلك مذاهب شتى سنأتي على بيانها في ما يلي وعلى ما يقوم عليها من الاعتراض ولكنهم لم يصلوا الى وضع قاعدة يصح الاعتماد عليها

اذا نظرنا الى الحيوانات الداجنة نظراً سطحياً ظهر لاول وهلة ان الصغرى منها اقصر عمراً من الكبرى لان حياة الجرذان وخنازير الهند والارانب اقصر من حياة القطط والكلاب والغنم . وحياة هذه اقصر من حياة الحصان والثور والجمل واطولها عمراً الفيل وهو اكبرها جسماً فنشأ من ذلك الزعم ان كبر الجسم يستلزم طول العمر . الاّ ان النسبة بين كبر الجسم وطول العمر ليست ثابتة كما يظهر باقل نظر لان بعض الحيوانات الصغيرة كالببغاء والغراب والاوز تبلغ عمراً اطول من عمر كثير من ذوات الثدي واطول من عمر بعض الطيور التي هي اكبر منها بكثير

ومما هو عام في الحيوانات ان دور البلوغ في الكبيرة اطول منهُ في الصغيرة فقالوا بوجود نسبة بين هذا الدور وبين طول العمر . وذهب بوفون الى ان مدة الحياة الكاملة يمكن تقديرها بمدة دور النمو وبما ان هذا الدور ملازم للنوع فمن الضروري ان يكون لطول العمر قاعدة ثابتة وكما ان نوعاً من الحيوان لا يستطيع ان يتجاوز الحجم المحدود لهُ فهو لا يستطيع ايضاً ان يتجاوز حدّ عمره القانوني . وذهب بناء على هذا الى ان مدة العمر لا تتوقف على العادات ولا على الاخلاق ولا على نوع الغذاء وان لا شيء يستطيع ان يغير نواميس العمل الذي يحدد ستي العمر وان تلك النواميس لا تتغير الاّ بالافراط في التغذية او بالانقطاع عنها مدة طويلة . واتخذ بوفون سن البلوغ قياساً وجعل قاعدتهُ ان يضرب عدد سنيه بستة او سبعة فتحصل مدة العمر الكامل الذي يستطيع ان يصل اليه الانسان او الحيوان . مثال ذلك ان سن البلوغ في الانسان هو ١٤ سنة فاذا ضربنا ١٤ في ٦ او ٧

حصل ٨٤ او ٩٨ وهي المدة التي يستطيع ان يعيشها الانسان . وسن البلوغ في الحصان ٤ سنوات فيعيش ٢٤ او ٢٨ سنة وفي الوعل ٥ او ٦ سنين فيعيش ٣٥ او ٤٠ سنة

ووافقهُ فلوران على هذا المبدإ وخالفهُ بتحديد سن البلوغ فجعلهُ المدة التي يكمل فيها نمو العظام الطويلة عند التحامها بكراديسها وزعم انهُ اذا اخذت هذه المدة قاعدة وضربت بالعدد ٥ امكن الوصول الى نتيجة اوضح واصح فمدة نمو الانسان اي مدة التحام عظامهِ بكراديسها ٢٠ سنة فيعيش ١٠٠ سنة ومدة نمو الجمل ٨ سنين فيعيش ٤٠ سنة ومدة نمو الحصان ٥ سنين فيعيش ٢٥ سنة وقس عليهِ

على ان فلوران لم يستشهد الاَّ بذوات الثدي فلا يصح الاعتماد على قاعدتهِ وقد استشهد وسيان بحصان بلغ في اربع سنوات وعاش ٤٨ سنة فضلاً عن ان كثيراً من الشواهد يفسد هذه القاعدة لان الجرذ يبلغ سريعاً وينتج بعد ١٤ شهراً فاذا فرضنا مدة بلوغهِ ستة اشهر وجب ان يعيش بحسب قاعدة فلوران ٣٠ شهراً مع انهُ يعيش ٥ سنين . ومدة بلوغ الغنم النسبية طويلة لان الخروف لا يكمل نسبتهُ الاَّ بعد ٥ سنين وهو لا يبلغ الاَّ حينئذٍ ولكنهُ يفقد اسنانهُ بعد ٨ سنوات او ١٠ وتبتدئ شيخوختهُ بهذا العمر ويهرم بعد ١٤ سنة فحياتهُ لا تكاد تبلغ ثلاثة اضعاف مدة نموهِ

واذا التفتنا الى بقية ذوات الفقرات وجدنا النسبة بين مدة النمو وطول العمر متباعدة كثيراً لان البيغاء طائر من الطيور التي تبلغ بسرعة وتعمر طويلاً فهو يبلغ في سنتين اذ يكمل ريشهُ ويقوم بوظيفة التفريخ . والثعابين الصغيرة منهُ تبلغ في سنة ولا تجاوز حضانتها ٢٥ يوماً وبعضها ثلاثة اسابيع فقط ومع ذلك فطائر البيغاء يعيش عمراً طويلاً جداً كما يعرف من المشاهدات الكثيرة والثابتة . والافوز يبلغ في مدة قصيرة وحضانتهُ ٣٠ يوماً هو مع ذلك يعمر كثيراً وقد يبلغ ٨٠ سنة او ١٠٠ . ومن الطيور ما يسير بعكس ذلك فتكون حضانتهُ من ٤٢ — ٤٩ يوماً ويبلغ في ثلاث سنوات وهو مع ذلك قصير الحياة بالنسبة الى سواه كما ترى فيما يأتي

يستحيل ان نسلم بوجود نسبة ثابتة بين كبر الجسم ومدة النمو من جهة وبين طول العمر من جهة اخرى كما زعم بوفون وفلوران ولكننا لا ننكر ان الاحوال الداخلية لنوع من انواع الحيوان تضع حداً لحجمهِ ومدة حياتهِ لا يستطيع ان يتجاوزهما الاَّ ان تلك الاحوال وهي فسيولوجية محضة تبقي مجالاً واسعاً لاختلاف النسب في طول العمر بحيث يتضح ان العمر صفة تتنوع بتنوع الظروف الخارجية والى ذلك وجه وسيان امثالهُ في بحثهِ المشهور

وذهب الى ان طول العمر وان كان متوقفاً على صفات الحويصلات التي يتألف الجسم منها فهو يتطبق على ظروف الكيان و يكتسب بالانتخاب الطبيعي الصفات الموافقة لحياة النوع . ولكي تدوم حياة الحيوان يجب ان ينتج وان يدرك نتاجهُ سن البلوغ ثم ينتج هو ايضاً . على ان الشواهد في العالم العضوي على قلة النتاج وحفظ النوع كثيرة ومنها الطيور الكبيرة التي تطير وغماً من كبر جسمها فانها لا تبيض الاَّ قليلاً والكواسر كالنسر والعقاب وغيرهما لا تحضن الاَّ مرة في السنة ولا تفرخ الاَّ فرخاً او اثنين فطول العمر في هذه الظروف وسيلة ضرورية لتطبيق النوع على دوام البقاء وتزيد هذه الضرورة بكون البيض والفراخ معرضة كثيراً للاخطار فالبيض معرض لهجوم الاعداء التي تأكلهُ والفراخ معرضة للموت الباكر بالبرد فلو لم يكن النوع اهلاً لان يعيش طويلاً في هذه الاحوال السيئة لوجب ان ينقرض ولهذا ترى ان الحيوانات الكثيرة النتاج قصيرة العمر كالفيران والجرذان والارانب وكثير غيرها من الحيوانات القراضة التي لا تطول حياتها اكثر من خمس سنوات الى عشر سنين فيستعاض بكثرة مواليدها عن قصر حياتها .

يجوز القول بوجود روابط متينة اي فيسيولوجية بين طول العمر وقلة النتاج حملاً على المتعارف من ان الانتاج يضعف جسم الام وان الامهات اللواتي يلدن اولاداً كثيرين يشخن باكراً ولا يعمرن كثيراً الاَّ انهُ لا ينبغي التسليم بهذه النظرية على علاتها لان طول العمر وخصوصاً في ذوات الثقرات متعادل في الجنسين ومع ان خسارة الاناث بتوليد النسل اكثر كثيراً مما هي في الذكور فانهن يبلغن غالباً عمراً اطول وهذا ثابت بنوع خصوصي في الانسان لان عدد اللواتي يبلغ المائة اكثر منهُ في الرجال

فقلة النتاج ليست سبباً لطول العمر لان كثيراً من الحيوانات كثير النتاج وهو طويل العمر كالببغاء التي تحضن من ٦ — ٩ بيضات في المرة الواحدة . والبط الذي يحضن من ٦ — ١٦ بيضة والاوز الذي يحضن من ٧ — ١٤ بيضة وكلها طويلة العمر حتى ان الدجاجة المشهورة بكثرة تمريخها قد تعيش ٢٠ و ٣٠ سنة . وقد يعترض على ذلك بان صغار تلك الطيور معرضة للهلاك لان فراخ الدجاج والاوز تخطفها العقبان وتفترسها الثعالب والكواسر فيكون طول عمرها من قبيل تطبيق النوع على دوام البقاء . والجواب على ذلك ان طول العمر لا علاقة لهُ في هذه الاحوال بالاخطار التي تتعرض لها الفراخ والاَّ لوجب ان تنقرض كما انقرضت الحيوانات الكثيرة في الادوار الجيولوجية السابقة فيجب ان يبحث عن مصدره في الاحوال الفسيولوجية الخاصة بالبنية

ذهب اوستانه بعد بحثهِ في بعض الآراء عن مدة الحياة الى وجود علاقة بين النظام الغذائي وطول العمر وارتأى ان الحيوانات التي تقتات بالنبات تعيش اكثر من التي تقتات باللحوم وعلل ذلك بان الاولى تجد طعامها بسهولة وتسير فيهِ بترتيب فيحفظ كيانها . والثانية لا تجدهُ الاَّ بعد جهد وعناء فهي تارةً متخمة بالتهم وتارة طاوية خاوية واستشهد لتأييد رأيهِ بالفيل والبيغاء اللذين يقتاتان بالنبات ويعيشان عمراً طويلاً . على ان الشواهد التي تنفي هذا الرأي كثيرة لان كوامر الطير التي تقتات باللحوم تعمر كثيراً والغراب الذي يقتات بلحم الجيف يمتاز بطول عمرهِ فيجب اذاً ان نطرق غير هذا السبيل للبحث عن الاسباب الحقيقية لطول العمر . وللوصول الى ذلك يجب ان نوجه نظرنا الى العالم الحيواني ونبحث في اعمار انواعهِ لنستوضح الاسباب الفاعلة في اختلافاتها

ان في حياة الحيوانات غرابة كبيرة من حيث العمر لان بينها اختلافاً كبيراً فيهِ ولا بد ان يكون هذا الاختلاف ناشئاً عن عوامل كثيرة . وقد رأينا فيما سبق ان كبر الجسم في الحيوانات العليا لا علاقة لهُ بطول العمر واذا نظرنا الى الحيوانات الدنيا رأينا ان كثيراً منها يعيش مدة طويلة كالاكتينيا وهي من الحيوانات الرخوة ومن طائفة الاخطبوط دنيئة التركيب لا اعضاء هضمية لها وجهازها العصبي قليل النمو ومشتت فيها تشتيتاً فانها اذا أُسرت عاشت في الاسر مدة طويلة وقد شاهدت واحدة منها عند مدير حوض الاسماك في همبورغ كان عمرها بضع عشرات من السنين وكان يحفظها في اناء مخصوص كذخيرة ثمينة . ومنها شقيق بحري عاش ٦٦ سنة (سمي بالشقيق لمشابهتهِ لشقائق النعمان) وبالرغم من هذا العمر الطويل فهو سريع النمو وكثير النتاج وقد روقب نوع من انثى شقيق البحر بلغت بعد ١٥ شهراً من ولادتها وانتجت بعدهُ ٢٠ سنة ٣٠٤ شقيقاً ثم عقمت عدة سنوات وعادت فولدت بعدها ٢٣٠ في ليلة واحدة ثم ضعف خصبها الزائد بتقدمها في السن ومع ذلك فقد انتجت وهي في الثامنة والخمسين ٢٠ اكتينا مرة واحدة وانتجت بعد سبع سنوات اخرى ١٥٠ وعليهِ فهذا الحيوان الصغير الذي لا يزيد وزنهُ على $\frac{1}{10}$ الى $\frac{1}{5}$ من وزن الارنب البالغ قد عمَّر اضعاف عمر الارنب . وروقب انموذج من شقيق البحر عمرهُ ٥٠ سنة فلم يظهر عليهِ فرق عن ابناء نوعهِ الصغار سوى ضعف الانتاج . ومن الاخطبوط ما لا يعيش اكثر من ٢٤ سنة ولا يعرف سبب هذا الفرق . ومن الامثلة على طول عمر الحيوانات الدنيا ذوات الصدفتين البحرية التي تعيش ٦٠ سنة او ١٠٠ سنة وقس عليها

والحشرات كالحيوانات الرخوة منها ما لا يعيش الاَّ بضعة اسابيع كالحشرات التي تلصق

بورق النبات وتغتذي بعصارهِ فانها تموت بعد شهر من ولادتها ومنها ما يعيش طويلاً كالزيز الذي يعيش ١٣—١٧ سنة اي ان عمرهُ اطول من عمر الحيوانات القراضة الصغيرة كالفيران والارانب وخنازير الهند . وكالجراد الاميركي الذي يعيش بالحالة الدودية ١٧ سنة مدفوناً تحت الارض بجوار شجر التفاح الذي يغتذي من عصارة جذورهِ فهو يبلغ بعد هذه المدة الطويلة ويخرج الى سطح الارض فيعيش عليهِ شهراً فقط وهو الوقت اللازم لاخلاف النسل فيخلف نسلهُ ويموت والنسل يغور في جوف الارض ولا يخرج منهُ الاَّ بعد ١٧ سنة . والجراد الكبير يعيش عمراً اقصر من عمر الجراد الصغير واناث النحل الكثيرة النتاج تعيش سنتين او ثلاثاً وقد تبلغ خمساً والعاملات العقيمات لا تعيش الاَّ سنة واحدة واناث النمل الصغيرة الجرم والكثيرة النتاج تعيش الى ٧ سنين

وعليهِ لا سبيل للعلم في حالتهِ الحاضرة وفي هذه الظروف المتباينة ان يضع قياساً لطول العمر وكل قياس ينطبق بعض الانطباق على الحيوانات عموماً يسقط في عالم الحشرات . ونظراً لجهلنا بفيسيولوجية الحيوانات الدنيا عموماً والحشرات خصوصاً يستحيل علينا ان نقف على اسباب الاختلاف في اعمارها ويسهل علينا البحث في ذوات الفقرات لان المعلومات عنها كثيرة وراهنة ولهذا نعود الى البحث فيها هنا استجلاء لغوامض هذه المسئلة

ان ذوات الفقرات بانتقالها من صف الاسماك الى صف ذوات الثدي ارتقت ارتقاء كبيراً الاَّ انها خسرت بهذا الارتقاء من عمرها اذ اصبح اقصر من عمر اسلافها لانهُ معروف ومقرر ان ذوات الفقرات الدنيا تعيش اكثر كثيراً من ذوات الثدي فالاسماك طويلة العمر وكان الرومانيون يربون نوعاً منها في الاحواض (Murènes) فيعيش فيها اكثر من ٦٠ سنة . والسومون Saumon يعيش قرناً كاملاً . والبلطي Carpes ١٥٠ سنة . وسمكة من نوع البروشه Brochet عاشت ٢٦٧ سنة وقس عليهِ

والحيوانات الامفيبية اي التي تعيش في الماء والهواء تعمّر كثيراً ولو كانت من صغار الجسم فالضفادع تعيش من ٢ الى ١٦ سنة ومن انواعها ما يبلغ ٣٦ سنة والسلاحف تمتاز بطول عمرها فان سلحفاة عاشت في حديقة حاكم مستعمرة الكاب ٨٠ سنة و يظن انها بلغت القرنين واخرى من جزر غالاباغوس عاشت ١٧٥ سنة واخرى في قسم الزحافات في حديقة الحيوانات في لوندرا عمرها ٥٠ سنة واخراها اهداها المطران لانذ الى حديقة القصر الاسقفي في نولهام عاشت فيهِ ١٣٨ سنة الخ . وعليها تقاس حياة الافاعي والضبّان . واما التمساح وامثالهُ من الحيوانات الامفيبية الكبيرة الجسم فالمعلومات عنها قليلة ويرجح انها تعيش عمراً طويلاً

وعللوا طول العمر في ذوات الفقرات الدنيا بكونها من ذوات الدم البارد التي تتم وظائفها الفسيولوجية ببطء كلي لان دورتها الدموية بطيئة جداً حتى ان قلب السلحفاة لا ينبض اكثر من ٢٠ الى ٢٥ نبضة في الدقيقة . وذهب بعضهم الى ان السرعة او البطء في سير الحياة وبعبارة اخرى ان الوقت اللازم للتبادل بين المواد الغذائية والظواهر الحيوية هو من العوامل التي تؤثر في طول الحياة

على ان الشواهد التي تنفي هذا الزعم كثيرة والمشاهدات تدل صريحاً على ان ذوات الدم الحار هي ايضاً طويلة العمر بالرغم من سرعة حركاتها وسرعة اتمام وظائفها الفسيولوجية . وقد سبق فذكرنا عدة امثلة على ذلك على أن اهمية الموضوع تدعو الى التفصيل وزيادة الايضاح . فقد جمع غورني في جدول واحد اكثر من ٥٠ نوعاً من الطيور مع صفوفها وتباياتها فثبت منهُ ان الطيور الصغيرة الجسم تعيش عمراً طويلاً بالنسبة الى صغر جسمها . فالكنار يعيش من ١٧ الى ٢٠ سنة والحسون اكثر من ٢٣ سنة والسماني ٢٤ سنة وطير البحر الاحمر المفضض ٣٠ الى ٤٤ سنة . والطيور المتوسطة الحجم تعيش عشرات من السنين فمتوسط عمر البيغاء ٤٣ سنة واقلهُ ١٥ سنة واكثرهُ ٨١ سنة . وذكرت ببغاء بقيت ذاكرتها محفوظة الى سن ٦٠ سنة ونظرها الى سن ٩٠ وماتت وعمرها ٩٣ . والببغاء ذات العرف الاصفر تعيش من ٥٠ الى ٨٠ سنة وببغاء الامازون تبلغ ١٠٣ وكان عندنا اثنتان من نوعها بلغت احداها ٨٢ سنة وظهرت عليها بعدها علامات الشيخوخة والثانية ٧٥ وبقيت بعدها قوية ولم تظهر عليها دلالة الشيخوخة وماتت بذات الرئة الحادة

ولا تنفرد الببغاء بطول العمر لان في جدول غورني امثلة كثيرة على ذلك فقد ذكر فيهِ غراب عاش ٦٨ سنة وبوم عاش ٦٩ سنة وعقاب اميركي عاش ٥٢ سنة ونسر عاش ٥٦ سنة واوزة برية عاشت ٨٠ سنة وبجعة اهلية عاشت ٨٠ سنة الخ . على ان في هذا الجدول لم تجمع اعمار الطيور كلها في حديقة الحيوانات في قصر شنبرن بالقرب من ڤينا عقاب رأسهُ ابيض بلغ ١٠٨ سنة ونسر ذهبي عاش ١٠٤ سنين ونسرت انثى نسر في النورويج سنة ١٨٢٩ ونقلت الى انكلترا حيث عاشت ٧٥ سنة وفرخت اثناء الثلاثين سنة الاخيرة ٩٠ فرخاً وذكر بعضهم عقاباً بلغت ١٦٢ سنة

ويستدل من مجموع هذه الامثلة على ان عمر الطيور عموماً طويل الاَّ انهُ اقصر من عمر الزحافات ولا يدل على الاطلاق الى عمر التمساح والسلحفاة ومعنى ذلك انهُ حصل تقهقر في عمر ذوات الفقرات وهو اظهر في ذوات الثدي . والمثلة لا يباغها الاَّ الانسان ولا

يبلغها الفيل الاَّ نادراً وما يروى عن عمر الفيل وادراكه ثلثمائة سنة او اربعمائة سنة انما هو من الروايات الملفقة التي لا تستند الى حقيقة وما يذكر عن الفيل البري لا يركن اليه واما الفيل الداجن الذي يعتنى به اعتناء خاصاً في حدائق الحيوانات فيعيش فيها من ٢٠ الى ٣٠ سنة والفيل الذي اهداه محمد علي الى حديقة الحيوانات عاش فيها ٣٠ سنة وظهر من القوائم الرسمية لحكومة الهند الانكليزية التي تعين فيها وفيات الفيلة ان من ١٣٨ فيلاً عاش واحد فقط ٢٠ سنة بعد شرائه . ومثله الرينوسيروس وهو اضخم ذوات الثدي جثة عاش واحد منه في حديقة لوندرا ٢٥ سنة وآخر ٣٧ سنة . ويقول سكان البلاد التي يقطنها الفيل ويعرفون طبائعه جيداً ان الشيخوخة تبدو عليه بين سن ٥٠ و ٦٠ فهو يقرب من الانسان وان يكن الانسان اصغر منه جسماً

والخيل والبقر قصيرة العمر رغماً عن ضخامة جثتها فالخيل تعيش من ١٥ الى ٣٠ سنة وتشيخ في سن ١٠ ويندر ان تبلغ ٤٠ والبقر تعيش من ٢٥ الى ٣٠ وتبدو الشيخوخة عليها في سن ٥ اذ تصفر اسنانها ثم تسقط او تحت في سن ١٦ و١٨ والبقرة ينقطع لبنها في هذه السن والثور يخسر قوة الانتاج والبقر مع ذلك قليلة النتاج ومدة حمل البقرة ٢٤٢ يوماً فهي تقرب من مدة حمل المرأة التي هي ٢٨٦ يوماً وعمرها اقصر كثيراً من عمر المرأة

والحيوانات المجترة كالغنم قصيرة العمر فالخروف لا يعيش الاَّ ١٢ سنة ويندر ان يبلغ ١٤ ولقح اسنانه بين ٨ و١٠ سنين وربما عاشت بعض المجترات كالجمل والوعل اكثر من البقر ولكن ليس لدينا معلومات دقيقة عنها

والضراري الداجنة قصيرة العمر ايضاً فالكلب يعيش ١٦ الى ١٨ سنة ويندر ان يبلغ ٢٢ سنة وتبدو الشيخوخة عليه من سن ١٠ الى ١٢ والقط يعيش من ١٠ الى ١٢ وقد يبلغ ٢٣ سنة ولكن الشيخوخة لا تبدو عليه باكراً كما تبدو على الكلب

والحيوانات القارضة عموماً والداجنة منها خصوصاً كثيرة النتاج وقصيرة العمر فالارنب لا تبلغ السنة العاشرة الاَّ نادراً واقصى حياة الكوباي (خنزير الهند) ٧ سنوات ولا تبلغ الفيران اكثر من ٦ سنوات

يتضح من ذلك ان ذوات الثدي كبيرة كانت او صغيرة اقصر عمراً من الطيور ويحمل ذلك على الاعتقاد بانه طرأ على بنيتها عامل خصوصي عمل في تقصير عمرها تقصيراً مهماً . وعلينا ان ننظر فيه ونجتهد في تبيانه

يقولون ان ذوات الفقرات الدنيا ومن جملتها الطيور تتناسل بالبيوض وذوات الثدي

تتناسل بالولادة وان القوة التي تصرف في ولادة الاولاد كاملة البنية اكثر كثيراً من القوة التي تصرف في بيض البيوض لان اغتذاء الجنين من امهِ ينهك قوتها فيقصر عمرها وهذا ما يعلل قصر العمر في ذوات الثدي

ولكن هذا الرأي لا يستند الى ركن وطيد وما نعلمهُ عن طبائع الحيوانات لا يجيز التسليم بهِ لان مدة العمر في ذوات الثدي هي واحدة تقريباً في الذكر والانثى مع ان قوة الانتاج في بنية الاناث اقوى مما هي في بنية الذكور . وفي العالم الحيواني وخصوصاً في عالم الحشرات امثلة كثيرة تدل على تباين في العمر بين الذكور والاناث من نوع واحد فان اناث بعض الحشرات تعيش اكثر من ذكورها ٦٤ مرة . ويغلب في اكثر الانواع ومن الجملة في الانسان ان يزيد عمر الاناث على عمر الذكور رغم ما تصرف الاناث من القوة في انتاج صغارها وعليهِ لا يكون صرف هذه القوة سبباً لتقصير العمر

وزد على ذلك ان الحيوانات اللبونة تصرف قوة في رضع اولادها اقل مما تصرف الطيور في بيض بيوضها كما اتضح بالفحص الدقيق وعمرها مع ذلك اقصر من عمر الطيور . والمعروف عموماً ان قوة الحيوان على الانتاج لا تقابل ضرورة غزارة نتاجهِ لان سمكة واحدة من نوع البروشه باضت ١٣٠,٠٠٠ بيضة من بيوضها في وقت واحد والسمكة او الضفدع التي تبيض اوفاً من البيوض هما اغزر نتاجاً من العصفور الدوري الذي لا يبيض في السنة اكثر من ٨ بيضة او من الارنب التي لا تلد الاَّ ٢٥ الى ٥٦ جرواً ولكن العصفور الدوري والارنب يستهلكان من مادتهما بانتاج مواليدهما اكثر مما يقتضيهِ وزن جسمها واما الضفدع فلا تستهلك في كمية البيض الهائلة التي تبيضها الاَّ سبع وزنها فقط

ومن الثابت انهُ كلما قل الخصب اي قل عدد البيوض او المواليد الصغار زادت قوة الانتاج واذا عبَّرنا عن هذه القوة بالوزن بعدد ١٠٠ كانت في الحيوانات الامفيبية اي التي تعيش في الماء والهواء ١٨ وفي الزحافات ٥٠ وفي ذوات الثدي ٧٤ وفي الطيور ٨٢ ويتضح من ذلك انهُ اذا كان قصر العمر في ذوات الثدي هو نتيجة انحطاط الجسم المسبب عن فعل الانتاج فلا تكون زيادة النتاج هي السبب الرئيسي لذلك بل قوتهُ لان تلك القوة في الطيور اكثر مما هي في ذوات الثدي وعليهِ فقصر حياتها لا يرجع الى قوة الانتاج ولا الى كونها تلد صغارها احياءً كاملة ولا تبيض بيوضاً كالطيور والزحافات الاطول منها عمراً بل يرجع الى سبب آخر يجب ان نبحث عنهُ ونفتش عليهِ في غير هذا المحل

الدكتور امين ابو خاطر

الصور المتحركة

ليس بين المخترعات الحديثة ما هو اعجب عملاً وادعى الى الدهشة من الصور المتحركة (سناتوغراف) . ولو كانت فائدة هذا الاختراع على قدر غرابته لعُدَّ من اكثر المخترعات فائدةً ولكن فائدتهُ العملية قليلة مقصورة على اظهار الاعمال الطبيعيَّة ايضاحاً لبعض القواعد العلمية كاظهار حركات القلب ونمو البزور وتلقيح الازهار وما اشبه

واكثر ما يدعو الى الدهشة تمثيل امور وقوعها مستحيل او في حد المستحيل كتمثيل الاسود تهجم على انسان في غابة فيتمذَّر عليها افتراسهُ او انطراح رجل امام قطار سكة الحديد وهو جارٍ بسرعتهِ المعهودة فيمر فوقهُ ولا يقتلهُ . او طرح انسان مكتوف اليدين في بئر فيصعد منها سليمًا او جلوسهُ في بركة كبيرة والماء فوق رأسهِ وهو يدخن سيكارتهُ او نحو ذلك من الاعمال المدهشة

ولا يخفى ان الصور المتحركة صور فوتوغرافية كثيرة تصوَّر الواحدة بعد الاخرى اثناء حصول العمل الذي يظهر بها فيرتسم فيها متدرجًا بكل درجاتهِ حتى اذا توالى مرورها امام العين بعد ذلك جمعتها العين معًا ورأت من مجموعها ذلك العمل الذي حدث حينما صورت ورأتهُ يحدث فعلاً

مثال ذلك ان تمد يدك الى صحفة امامك وتتناول تينة منها وتضعها في فيك . فاذا كان امامك مصور شمسي آلتهُ تصوِّر الصور المتحركة واداروها حين مدَّ يدك الى الصحفة وتناوُل التينة منها حتى ارتسمت على شريطها الحساس مئات من الصور اثناء حركة يدك الى ان صارت التينة في فيك واظهرت هذه الصور كما تظهر الصور الفوتوغرافية عادةً ثم مرَّ شريطها بسرعة امام نور يلقي صورها مكبَّرة على ستار — ظهرت صورتك على الستار وانت تمد يدك الى الصحفة وتتناول التينة منها ثم تأكلها كما تظهر لمن يراك وانت تفعل هذا الفعل

ولا يخطر ببال من يرى الصور المتحركة تمثل في مشاهدتها الاَّ ان ما تمثلهُ من الاعمال قد حدث فعلاً مهما كان غريبًا . وهذا هو الواقع في اكثر الصور المتحركة ولكن بعضها يمثل اموراً غير واقعة او لا يمكن ان تقع بوجه من الوجوه فكيف صوِّرت هذه الصور

والظاهر ان صانعي الصور المتحركة ملأوا من تصوير الحوادث الفعلية لكثرة تفاقها او لقلَّة غرابتها ورأوا ان لا بدَّ من تفكيه المشاهدين بما يسرهم ويسليهم فلجأوا الى تصوير

حوادث لم تقع او يندر وقوعها او يستحيل او هي من المستحيلات لشدة غرابتها او لانها مما يضحك كثيراً لبلوغها حداً فائقاً جداً في الفكاهة

لنفرض انهم ارادوا ان يصوروا حادثة رجل دخل غابة وامسك منها اسداً كبيراً وركب على ظهره وجعل يخطر ذهاباً وايباً والاسد ذليل كالحمار . فان حادثة مثل هذه يستحيل وقوعها فعلاً فيعمد المصور الماهر الى تصوير الغابة وقد ينقلها عن غابة حقيقية او عن صورة غابة فوتوغرافية و يصنع منها الوفاً من الصور . ثم يصور بطله في واحدة منها رجلاً داخلاً اليها وهو في اول دخوله و يصوره في الثانية رافعاً رجلهُ اليمنى ليتقدم خطوة وفي الثالثة رافعاً رجلهُ اكثر مما رفعها في الثانية وهلم جرًّا . اي انهُ يحلل مشيهُ في دخوله الغابة الى مئات من الصور و يصورها كلها الواحدة بعد الاخرى ثم يصور خروج الاسد من قلب الغابة ومجومهُ عليه في مئات من الصور و يصور بعدها صدامهُ مع الاسد الى ان يقهرهُ ويركب على ظهره . وقد يبلغ عدد الصور لمنظر واحد عشرة آلاف صورة او اكثر وهي متناسقة منتظمة يتألف من مجموعها حادثة تظهر كأنها فعلية . ثم ينقل هذه الصور كلها بالفوتوغراف على شريط واحد و يطبع عنهُ الوفاً من الصور على شرائط اخرى لتعرض في مشاهد الصور المتحركة في المكونة فيندهش الناس برؤيتها اعظم دهشة لخروجها عن حد المألوف او لما فيها من المضحكات

ومما هو اغرب من ذلك لانهُ في حد المستحيل ان ترى انساناً دخل بيتهُ سكران وتخاصم مع زوجتهِ وكانت الصحاف على المائدة في انتظاره للعشاء فرماها مغضباً وكسرها كلها وقلب المائدة والكراسي وكسرها وطرح بعض اثاث البيت الى خارجه . ثم ترى المائدة جلست من نفسها وانتظمت الكراسي حولها وعادت شقف الصحون فاجتمعت والتحمت واسطفت على المائدة وجاء الاثاث من خارج البيت ودخل من الباب او الشباك سائراً في الهواء من نفسه . او ان ترى رجلاً افلس فحجز اثاث بيتهِ وأخرج منهُ وبيع بالمزاد العلني فاسقط في يده وعلتهُ الكآبة وبعد قليل نام وحلم ان اثاثهُ عاد الى مكانهِ فاتت الاسرة من نفسها ونصبت في اماكنها ثم اتت الفرش محزومة وفُكَّت من نفسها وانبسطت على الاسرة ثم جاءت البسط والخزائن والكراسي والموائد وهلم جرًّا وحدث ذلك فعلاً كما حلم . اي ان الحلم الذي هو وهم في وهم صار حقيقة فعلية . فان المصور الماهر يستطيع ان يمثلهُ كلهُ بالوف من الصور تظهر امام عين الرائي كأنها تمثل حادثة وقعت فعلاً مع ان وقوعها ضرب من المحال

ومن هذا القبيل كل الصور العلمية التي تمثل نبضان القلب وجريان الدم في الشرايين ونمو النبات وتكون الازهار وتوران البراكين وسير الكواكب وما اشبه

او لنفرض ان صانع الصور المتحركة اراد ان يصور رجلاً معجباً بنفسه مدعياً الانفة والشمم يدخل بيته ويرى من زوجته ما يريبه فيهجم عليها ليفسربها فتخلع حذاءها من رجلها وتوجعه ضرباً به على رأسه الى ان يتخلص منها ويهرب ويختبئ تحت سريره . فان حادثة مثل هذه ليست مما يستحيل حدوثه ولكن قد لا يوجد من يريد تمثيلها فالمصور الماهر يستطيع ان يصور الوفاً من الصور تمثلها تماماً وتكون مما يغرب له المشاهدون ضحكاً . واشلة ذلك كثيرة تشاهد في كل مشاهد الصور المتحركة

وقد يقتضي تحضير الشريط الواحد لصورة من هذه الصور شهراً كاملاً او اكثر مع ان اظهاره في مشهد الصور المتحركة لا يستغرق اكثر من عشرين دقيقة

واهم ما في هذا العمل استنباط الحادثة التي اذا صورت اقبل الناس على مشاهدتها والاعجاب بها لغرابتها او لانها من المسليات المضحكات . ومتى استنبطت هذه الحادثة وتصورها المصور في ذهنه لم يتعذر عليه رسمها على الورق بكل درجاتها . اما الحوادث التي حدثت فعلاً والتي يمكن حدوثها فهذه يسهل تمثيلها فتمثل وتصور ولو اقتضى تمثيلها السفر الى اقاصي البلدان واستخدام مئات من الرجال وانفاق بدرات من الاموال ولكن الافعال التي يستحيل او يتعذر وقوعها فعلاً لا بدَّ من رسمها بالقلم وتصويرها على ما تقدم

ولا يخفى ما يجده المصور من العناء في رسم الصور حتى يتألف من مجموعها صورة يظهر انها تتحرك حركة طبيعية لا تصنع فيها ولا يخامر من يراها ادنى شك في انها طبيعية في كل حركاتها وسكناتها واشكال الاشخاص المرسومين فيها . فاذا كان هناك رسم رجل سائر في طريق منحدر فعلى المصور ان يعرف كم ينبغي ان يصور من صوره حتى اذا توالت امام العين في وقت محدود ظهر ان الرجل لم يسرع سرعة فائقة ولا ابطأ في سيره لانه اذا اكثر من الصور ظهر ان الرجل يمشي الهوينا متمكثاً واذا قلل منها ظهر كأنه يقفز قفزاً يتعب نظر الرائي

ولا يستطيع المصور الواحد ان يرسم الصورة كلها بل يرسم حدودها ويسلمها لمساعديه حتى يتموها وهو يرسم الرسم الاول على لوح من الزجاج المخموت ثم ينقله على ورقة بيضاء ويضعها تحت لوح آخر فترشده الى ما يجب ان يغيره في الرسم الثاني وهلم جرًّا

ولا بدَّ لهُ من ان يتصور دائماً حال المشاهدين وما يتجه نظرهم اليهِ فاذا صوَّر رجلا رسمي كرسياً في الهواء فيجب ان يصورهُ في الصور التالية واقفاً رافعاً يديهِ لا يتحرك ويخص التحريك بالكرسي الى ان يبلغ اعلى ما يصل اليهِ ثم يجعل الرجل يخفض يديهِ رويداً رويداً بينما يكون الكرسي هابطاً الى الارض

ولا بدَّ من التدقيق التام في رسم الحركات كلها وكل جزء منها ومن الاشخاص والاشياء التي تتحرك لان الصور تكبَّر كثيراً وقت اظهارها امام المشاهدين فاقل نقص او خلل فيها يظهر مكبراً فينفر منهُ المشاهدون

ومتى تمت الرسوم كلها التي تمثل صورة متحركة تنظم بعضها مع بعض وتصوَّر على شريط طويل من ورق التصوير الشفاف المخضَّر وتطبع منها صور كثيرة وان كان بين الرسوم رسوم ثابتة غير متغيرة فوقهِ لا يضطر المصور ان يرسمها بيدهِ بل يضيف صورها الفوتوغرافية الى الرسوم التي رسمها ولكن لا بد لهُ من ان يضعها في محلها تماماً

والخلاصة ان كل ما يرى في الصور المتحركة مما يستحيل او يصعب وقوعهُ فعلاً انما هو منقول عن رسوم مصنوعة لان عن اشياء وافعال حقيقية وهذا ما لم نكن نعلمهُ قبلاً

المشتري في مخاض

ليلة قمراء

المشتري اكبر السيارات التابعة للنظام الشمسي سماهُ العرب بهذا الاسم لانهُ اشترى الحسن لنفسهِ كما قالوا فان كان الامر كذلك فالذي ابقوهُ للزهرة وهي اسطع منهُ نوراً واعظم سناء وقد انتبها غير واحد منهم بملكة الجمال ويسمي الفريقيون المشتري جوبتر وهو ايضاً اسم كبير آلهة الرومان يقابلهُ زفس عند اليونان قبلهم ومردوخ عند البابليين والاشوريين ولعلهم سمّوهُ بهذا الاسم تشبيهاً لهُ بكبير آلهتهم او لانهم حسبوهُ البق الاماكن بسكنى كبير آلهتهم فسموهُ باسمهِ

وقطر المشتري ٨٥ الف ميل وحجمهُ ١٢٥٠ ضعف حجم الارض ولكن كثافة مادتهِ ربع كثافة مادة الارض فلذلك كان ثقلهُ غير مناسب لحجمهِ اذا قيس بحجم الارض وثقلها فبينما نرى حجمهُ ١٢٥٠ ضعف حجم الارض كما تقدم نرى ثقلهُ ٣٠٠ ضعف ثقلها

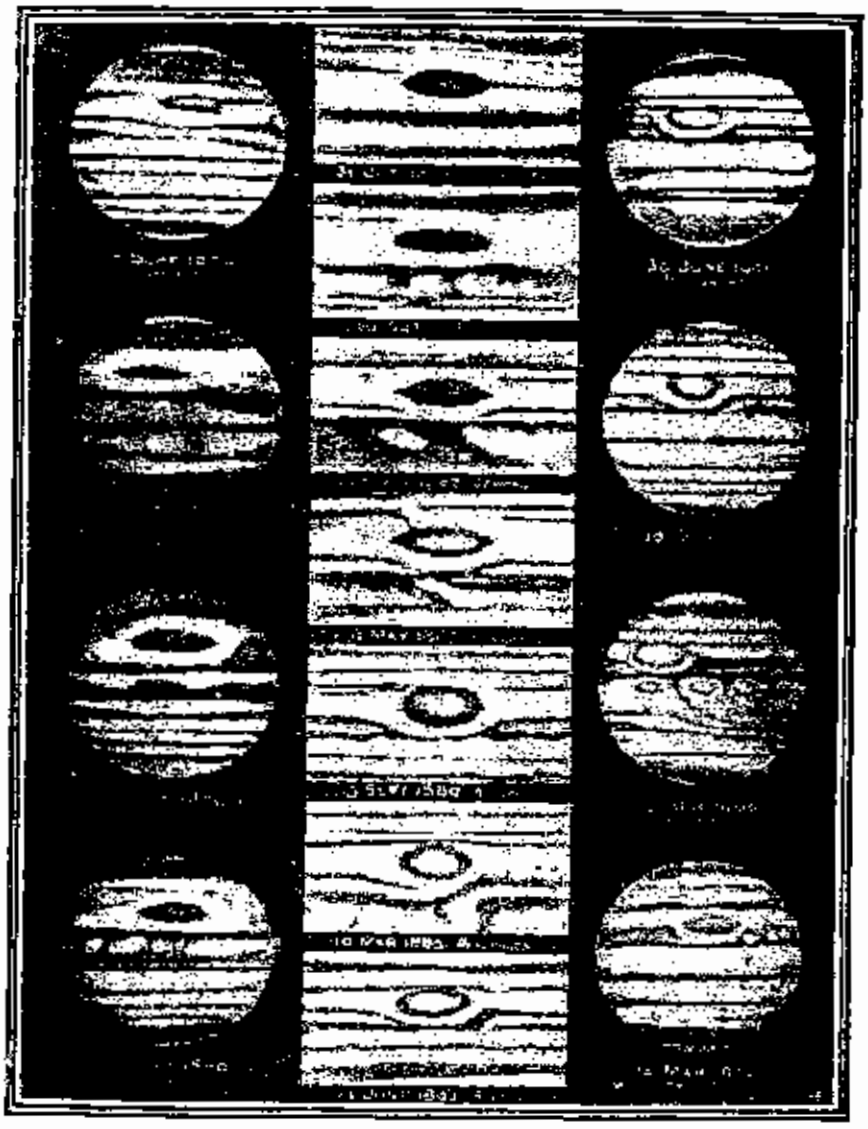

المشتري ومناطقهُ وبقعهُ

مقتطف يناير ١٩١٧

امام الصفحة ٣٠

ومتوسط بعده عن الشمس ٤٧٨ مليون ميل . فلو ان قطاراً يقطع ٥٠ ميلاً في الساعة خرج من الشمس قاصداً المشتري لبلغهُ في تسعمائة سنة . وبعبارة اخرى لو قام قطار من الشمس في عهد الحاكم بامر الله العبيدي ما بلغ المشتري الاَّ في ايامنا هذه

ولتقريب امر حجمهِ وكثافتهِ الى الافهام نقول انهُ لو قُطع ١٢٠٠ قطعة لكانت كلٌّ منها اكبر من الارض . ولو جمعت السيارات كلها كتلة واحدة ما بلغ ثقلها نصف ثقل المشتري

وسنة المشتري تساوي اثنتي عشرة سنة من سني ارضنا وهو يدور على محورهِ في نصف المدة التي تدور فيها الارض على محورها ولكن لما كان جرمهُ اكبر من جرم الارض بكثير فان سرعتهُ في الدوران على محورهِ اعظم من سرعتها بكثير ايضاً . وبينما الارض تدور ١٠ اميالاً في الدقيقة يدور المشتري ٤٦٦ ميلاً وهو يتمُّ دورتهُ على محورهِ في نحو ١٠ ساعات اي ان طول يومهِ نحو ١٠ ساعات في حين ان الارض تتمُّ دورتها اليومية في ٢٤ ساعة وهو طول اليوم من ايامها

ويمكن حسبان المشتري اما تمساً صائرة الى الانحلال والاضمحلال واما ارضاً في دور التكوين فانهُ كرة كبيرة من الغاز والمواد الذائبة لم يمرّ عليها الزمان اللازم لتصير كتلة باردة جامدة . ولما كان اشبه بالشموس منهُ بالكواكب التابعة فقد ارتأى البعض ان بعض نورهِ اصليٌّ منبثق منهُ لا مكتسب من الشمس كلهُ . ولكن الفلكيين ليسوا متفقين في ذلك . وما يقال في نورهِ يقال في نارهِ فان السحب التي تجمع في جوّهِ قد تكون ناشئة عن حرارة اصلية فيهِ او عن حرارة الشمس الواردة اليهِ

والناظر اليهِ بالتلسكوب يرى على سطحهِ منطقتين عريضتين ومنطقتين اخريين او ثلاثاً اضيق منها على جانبيها . وهذه المناطق موازية لخط الاستواء فيهِ . وقد تضيق هذه المناطق جداً وحينئذٍ يرى عددها على ازدياد

ولما كان المشتري غير جامد القوام كالارض اي لا يزال بين الغازية والسيولة بسبب اشتداد الحرارة فيهِ فهو لذلك مغلف بغلاف كثيف من السحب والغيوم . ويرجح ان المناطق المشار اليها انما هي شقوق في غلافهِ الى ما تحت سطحهِ وهذا غاية ما عرف عنها . فانها تبقى شهوراً طوالاً غير متغيرة ثم يطرأ عليها ما يغيّر منظرها مما يبعث على الظن ان اعاصير شديدة تثور على سطح المشتري فتغير هيئتهُ . وقد تلوح مناطقهُ في

بعض الاحيان بقعة منقطة ولا تعلم ماهية هذه البقع والنقط حتى الآن

وتدل الدلائل على ان المشتري في حالة لولا كرامة سميه اله آلهة البابليين واليونان والرومان لقلنا انها اشبه الحالات بمخاض الحامل وان تمخضهُ هذا قد ينتهي بانفصال قطعة كبيرة منهُ وولادة قمر جديد يضاف الى الاقمار التي تدور حولهُ الآن كما جرى للارض مع قمرها وكما جرى للشمس مع السيارات كلها . وهذا هو الذي حملنا على اعادة البحث في المشتري هذه المرة . فان على سطحهِ بقعة حمراء غريبة حيرت الفلكيين وكان اول من رآها فلكي بلجيكي في بروكسل سنة ١٨٧٨ . وكان طولها حينذاك ٣٠ الف ميل وعرضها ٨ آلاف ميل . فلو القيت الارض برمتها فيها لوسعتها وضقت عليها

بقي الفلكيون يدرسون هذه البقعة ثلاث سنوات وهي ظاهرة لم اتم ظهور وكانت تجول في صدر المشتري وتدور حولهُ وتتم دورتها في ٩ ساعات و٥٥ دقيقة و٣٦ ثانية فذهبوا فيها كل مذهب . فمن قائل انها بركان ولكن ينقض هذا الزعم كونها جوالة لا مقيمة في مكان . ومن قائل انها هي ما رآهُ هوك سنة ١٦٦٤ وكاسيني معاصرهُ وهذا مشكوك فيهِ . ومن قائل انها جزيرة طافية على سائل لا تعلم طبيعتهُ ولكن طول بقائها لا يوافق هذا الرأي

والذين يقولون ان المشتري في حالة مخاض يقولون ان حالتهُ هذه لا بدَّ ان تنتهي بانفصال هذه القطعة الحمراء منهُ فتصير قمرًا يدور حولهُ . فان ارضنا لما كانت كتلة رخوة القوام كانت تدور على محورها بسرعة عظيمة حتى ان اجزاءها الاستوائية لم تستطع التماسك فانفصل بعضها وطار في عرض الفضاء ولكنهُ بقي تحت تأثير جاذبية الارض حتى اذا بلغت القوة الدافعة حدَّها دار ذلك الجزء حول الارض وكان دورانهُ هذا نتيجة فعل قوتين قوة الدفع او الاستمرار من جهة وقوة جذب الارض من جهة اخرى فكان القمر

وقد خطر لبعض الفلكيين ان يصور البقعة الحمراء وما طرأ عليها من الحركة والانتقال من اول ما رئيت حتى الآن اي من سنة ١٨٧٨ كما ترى في الشكل المتقدم

القَدَرية والجبرية

او الاختيار والاضطرار

(١)

لم يشتغل العقل الانساني بشيء مثل اشتغاله بمسألة القَدَر والجبر . فمن اول ما بدت تباشير الفكر وقُدِّر لنا ان نقف على أخبار المتقدمين اهل التاريخ الاول سمعنا بهذه المسألة . فهي قديمة وربما كانت اعرق في الوجود من كل فكرة اخرى . ولما جاءت الاديان جعلتها موضع نظر ولكنها لم تتصل الى حلها بل تركتها بمجادفيرها تنتقل من جيل الى جيل حتى وصلت الينا ولم تزل الشغل الشاغل للمفكرين والفلاسفة . بل لا نغالي ان قلنا انها من الاسس الاولى التي تبنى عليها اليوم اقسام كبيرة من الفلسفة والعلم . فمسائل التشريع والقواعد الاقتصادية والافكار الاجتماعية كلها تمسّ هذه الفكرة وتعتمد بها . وكلنا في اعمالنا اليومية ومعاملاتنا مع الآخرين لا ننسى مبلغ ما يترتب على عملنا من المسؤلية الشخصية ولا مقدار المسؤلية التي نقع على عاتق غيرنا بناءً ذلك على ان الانسان حرٌّ مختار . وكلنا نحس ان الافراد لا يتساوون في هذه المسؤلية بل تصغر عند قوم وتكبر عند آخرين على نسب مختلفة لعمل الواحد

ولم يصل كثير من الباحثين الى نقطة عملية عامة في هذه المسألة . بل تراهم يميلون الى الاعتراف بقسط من الاختيار لكل فرد من الافراد لم يخرج عن عقله كبُر ذلك القسط ام صغر . وتراهم يقولون انه لولا ذلك لما ساغ لنا ان نستاء من عمل غيرنا ولا ان نفرح له . لكنا نستاء ونفرح . ولا شك ان معنى هذا اننا نقدِّر ان هذا الشخص كان يستطيع ان يعمل غير ما عمل فيستحق منا احساساً مخالفاً للاحساس الذي ابديناهُ حين رأيناهُ عمل ما عمل . ولا بدّ لنا ايضاً من الاعتراف بقسط من الجبر او الاضطرار يختلف قدرهُ باختلاف الافراد . وهذا هو السبب في ان الاحساس الذي نقابل بهِ عملاً معيناً من زيد ليس هو بعينهِ الاحساس الذي نقابل بهِ هذا العمل من كل شخص غيرهِ

هذه هي الافكار العملية العامة في الموضوع . ولسنا ندري هل كانت تتغير قريباً . ولكن ما لا شك فيهِ انها تشكلت باشكال كثيرة ولبست مع الاحوال المختلفة لبوساً جمة . فبالنسبة لقيَم الاختيار والاضطرار وبالنسبة لمصدرهما راجت افكار واوهام كثيرة على مدى الازمان المختلفة . فجبرية اليوم يرجعها المعاصرون من كتّاب اوربا الى تأثيرات الوراثة

والوسط في حين كان يرجعها اهل الزمن القديم الى القدرة الالهية . والاختيار المطلق والاختيار النسبي شغلا من الابحاث آلاف الصحائف . وكذلك مقدار الاختيار . ولسنا نريد بما نكتب تحليل هذه الابحاث ولا التنقيب عما كان واستظهاره بل اثبات رأي نعتقده واظهار اثر هذا الرأي في بعض جهات العلم والفلسفة ولاسيما ما اختص بفكرة المسؤلية وتقدير الخير والشر

وقبل الشروع في ذلك نرى ان نوضح هذا الرأي في ذاته وموضعه بالنسبة للآراء الاخرى . ولا يلتبسنا احد بالتعجل في ذلك فان اول ما نطلب ان يكون القارئ عارفاً ببراهيننا حتى اذا قرأ ما نكتب كان قادراً على اتباع اسباب الحجة التي تدلي بها وطرقها ومسالكها فيصل بها معنا الى الغاية التي نراها من غير ان يكلف نفسهُ الرجوع اليها ليرى مواضع الضعف منها

اما رأينا فهو ان الاختيار معدوم من الوجود جملة وانا تصرفنا قوانين مرتبة نعرفها وصدف واتفاقات ربما كانت تسير على قوانين لا نعرفها . ولسنا نقصد بالاختيار هذه الحرية الجزئية الضئيلة التي نستطيع معها ان نسير الى اليمين لا الى اليسار ونأكل صنفاً دون آخر ولكننا نقصد به مجموع القوة المصرفة للحياة والمتسلطة على هاته الحرية الجزئية . نقصد به روح الحياة ذاتها . فهذه الروح او تلك القوة او ما شئت تسميها معدومة الاختيار من جميع الجهات سواء كان ذلك من جهة تكوينها المباشر بالذات او من جهة الظروف الخارجية التي تعيش وتنمّى في وسطها . وهي مدفوعة في طريقها بعوامل لا دخل لها مطلقاً فيها او ان كان ثمت لها دخل فهو ضئيل الى درجة معدومة الاثر . وهذه الحرية الجزئية الضئيلة التي نعتقد اننا نملكها يبدو لنا انّ نتصرف على مقتضاها في حياتنا اليومية معدومة ايضاً وما نراهُ منها انما هو خيال ووهم

كما تيسر لي ان افصل بذلة جديدة يدخل رأسي تصميم ان اغير الالوان المعتادة التي البسها وادخل محل الخياط على هذا التصميم . وبعد ان اقلب خمسين قطعة من القماش اقف عند اختيار لون لا يخرج مطلقاً عن الوانيَ المعتادة . وقد خرجت مرة عن هذا الجمود لعلي ارى في الجديد طلاوة فلما لبست بذلتي الجديدة شعرت بعدم ارتياح لما عملت كأنهُ خالف اختياري . فهل انا مختار في المرات الاولى وهل انا مختار في هذه المرة الاخيرة ؟ واعتقد ان كثيرين مثلي لاحظوا من ذلك ما لاحظتهُ

نجد هذا ايضاً عند اعيادنا اختيار الطعام . نجد هذا الاختيار محدوداً لا يتعدى اصنافاً معينة . فاذا تعداها الانسان حسب نفسهُ خرج على نفسهِ . اي حسب نفسهُ غير

كامل الاختيار . ويكون ذلك احساسهُ في غير هذه الجزئيات كل مرة يخرج فيها عن معتاد اختياره اللهمَّ الاَّ اذا نسي نفسهُ مع اصحاب او جماعة اياًّ يكونون . وهو لا شك في هذه الحالة مسلوب الاختيار في اغلب الاحيان

ونظن القارئ في غنى عن ان نضرب لهُ الامثال لذلك . ومن هذا نرى ان هذه الجزئيات البسيطة من متعارف ما في الحياة ومما نظن لانفسنا كامل الحرية فيهِ انما حدد اختيارنا لها ظروفٌ خارجة عنا كوَّنت عندنا عادة اعدمت هذا الاختيار وبالتالي قتلت هذه الحرية

واذا ارتقينا فوق هذه الدرجة وجعلنا اعمالاً اكبر من الاعمال اليومية موضع نظرنا تجلَّى لنا انعدام الاختيار عند الانسان بشكل اوضح . وليست الامثال هي التي تعوزنا هنا . فنادرٌ هو الرجل الذي لم تحدثهُ حادثة خارجة عن انتظارهِ بل عن اعتقادهِ فاضطرتهُ ان يتبع مسلكاً من مسالك الحياة لم يكن يتعلم بهِ . ونادر من لم تؤثر في حياتهِ او اعمالهِ صداقة رجل معين او حب امرأة معينة . ونادر من لم تغير خطتهُ مقابلة في قطار او سفرة الى بعض المدن . ونادر منا من لم يكن لمرضهِ او لزواجهِ او لتسلمهِ تعديل عام لطريق سيرهِ . وربما كانت كلمة نادر غير كافية فالقول ليس في الوجود انسان لم يرضخ لحكم كل هذه الظروف او بعضها . على انها حين تقابل الواحد منا تُحدث عندهُ اثراً غير الاثر الذي تحدثهُ عند الآخر وربما كان على عكسهِ . والواحد منا لا يستطيع ان يغير فيها او يبدل . وانما يخضع لها مجبراً غير مختار

ومركز الواحد منا في الحياة — كونهُ ابن زيد لا ابن عمر . وكونهُ ولد في بلد وفي قطر معين وفي عصر معين — ايُّ اختيار لهُ في هذا . من غير شك لا اختيار لهُ وانما هو يحتمل هذا المركز مجبراً سواء ارادهُ او لم يردهُ . ومن لنا بالرجل الذي يقدر على اختيار مركزهِ

ربما قيل انهُ مهما امكن التسليم بصحة ما تقدم فان في نفي الاختيار بالمرة مغالاة وان من الواجب الاعتراف باختيار نسبي للفرد يميز بهِ بين الخير والشر والحسن والقبيح ويمكن معهُ احتمال مسؤولية العمل الذي يعمله . وان هذا الاختيار النسبي الذي هو اساس المسؤولية ونتيجة من نتائج حرية الارادة حريةٌ نسبية وهو متعلق بالفرد ملتصق بهِ بل هو جزءٌ منهُ

ولا شك في ان هذا الكلام غير خلو من المعنى . فان لنا ارادة نسبية نميز بها اعمالنا اليومية ونجعلنا مسؤولين امام ابناء عصرنا عما يصدر منا من الاعمال . وهي هذه الارادة التي تعطينا الحق في مؤاخذة غيرنا وفي مؤاخذة انفسنا . لكن هذه الارادة النسبية هي كما

قد نحن محكومة بظروف خارجة عنها مؤثرة فيها باعتنا اياها حتماً لنسير في طريق معين . اي ان ارادتنا ليست حرة في ان تريد . فالاحكام التي تصدر عنها والتصميمات التي تتبعها انما هي مدفوعة اليها بعوامل خارجة عنها ربما كانت قوانين الطبيعة وربما كانت الصدف التي لا نعرف قوانينها . وربما كانت ايضاً روح الوجود الخفية والقوة المصرفة لهُ التي لا ندرك ماهيتها . وربما كانت مجموع هذه الاشياء

في الامثال البسيطة التي قدمنا عن اختيار اللون في الملبس والمطعم رأينا ان هذا الاختيار مقيَّد بقيود كثيرة منها الوسط الزماني والوسط المكاني ونوع التربية ومبلغ الصحة او المرض والقوة او الضعف التي عند الفرد وعوامل كثيرة اخرى ليس من السهل حصرها وقد رأينا ايضاً حين ترقينا فوق هذه الامثال ان هذه القيود لا اختيار لنا في وجودها . وكون الرجل ابن شخص معين ولد في بلد معين وفي زمن معين وفي امة معينة امورٌ كلها بعيدة جداً عن ان تكون من اختياره . ومع ذلك فلها تأثير بيّن واضح في آخر درجات الاختيار لانها هي اسباب الارادة

وهذه الاسباب نفسها غير مختارة لانها غير متعلقة بارادة عاقلة نعرف ماهيتها فوجود زمن من الازمان او مكان من الامكنة على صورة معينة امرٌ لا دخل لارادة معينة فيه . بل هو نتيجة لعوامل بعيدة عن ارادة الناس افراداً كانوا او جماعات . وكل جيل من الاجيال يحتمل غير مريد نتيجة اعمال آلاف الاجيال التي سبقتهُ . ويحتمل غير مريد شر اعمال الاجيال المعاصرة لهُ . واذا كان ذلك شأن الجيل فان الفرد الذي هو ذرة منهُ يحتمل تأثير ملايين من ارادات معاصريه وملايين الملايين من ارادات الاجيال الماضية . فهل يبقى مع ذلك صاحب ارادة خاصة ويستطيع ان يقول حين يعمل عملاً معيناً انى قمت به لانني اردتهُ ؟

ليتصور القارئ معي نفسهُ . هو الآن يقرأ هذه السطور . فهل هو مريد في ذلك . واذا كان مريداً فما هي قيمة اختياره في هذه الارادة . اولاً من اجل ان اكتب ما اكتب مررت بآلاف بل بملايين من المؤثرات التي شكَّلت ارادتي على ما ارادت هي لا على ما اردت انا . ثم كتبتهُ بعد ذلك . وكتبتهُ في اوقات ربما كان يكفي ان تتغير هي لتغير ما اكتب . ثم نشرتهُ في هذه المجلة بعد تفكير في ظروف لا دخل لي فيها هي التي استوفقت عزمي عندها . فلمَ انشرها في غيرها ؟ لاسباب خارجة عن ارادتي اذا نحن اعتبرنا مطلق الارادة . وقرأها القارئ في هذه المجلة لانهُ من قرائها لا لانهُ يريد ان يقرأ كلامي

ثم ما هو الاحساس الذي يجدهُ القارئ حين القراءة . اهو الانبساط ام الامتعاض ام عدم الاهتمام ؟ لاشك ان ذلك كلهُ يختلف كثيراً ما بين قارئ وقارئ . فمن الممكن ان يحرّك القارئ كتفهُ قائلاً : وما نتيجة هذه الابحاث في الحياة . ومن الممكن ايضاً ان يقول لقد احسن الكاتب فان في بحث هذه النظريات ما يؤثر في تقدير المسؤولية الاجتماعية والمسؤولية الفردية . ومن الممكن كذلك ان يرمي بما اكتب ثم يلتي المجلة من يده مشمئزاً . هذا كلهُ اذا لم يرَ في طرق باب مثل هذا الموضوع ما لا يسمح بهِ الدين وكل هذه الاحكام التي يصدرها يحسب انهُ مريد كل الارادة في اصدارها مع انها انما تتعلق بنوع تعليمهِ وبالمدرسة التي نشأ فيها وبالقراءات التي قرأها وبطرق التفكير التي مرّ بها وبالحوادث التي واجهها . ولو ان شيئاً من ذلك كلهُ تغير لتغير هذا الحكم وبكلمة اخرى لتغيرت الارادة

وظاهر من ذلك ان الارادة لا تعمل بذاتها مجردة ولكن تحت مؤثرات كثيرة هي التي تكونها على نحو خاص وتجعلها بذلك تصدر احكامها على هذا النحو محكومة بقوى تلك المؤثرات . ولا يمكن ان يقال مع ذلك انها حرة في ان تريد . بل ظاهر انها مجبرة على السير في الطريق الذي رسمتهُ لها هذه المؤثرات . وبكلمة اخرى مجبرة في اختيارها

ومن الممكن ان نلخّص العوامل التي تؤثر في الارادة وتحكمها في اختيارها على الطريقة الآتية :

(١) حكم الوسط الزماني والمكاني . فهذا الوسط الذي تكوّن على مدى الاجيال المتعاقبة من تفاعل ملايين الارادات الانسانية مع عوامل الطبيعة الاخرى لهُ في ارادة كل فرد منا اعظم تأثير . فان منها تتكون الافعال الاجتماعية والانظمة السياسية والقوانين الاجبارية والاعتبارات الاخلاقية . وهذه كلها وما سواها من الافعال الاجتماعية تشترك في صفة مميزة هي اكراهها كل فرد على اتباعها وجعلها تكيّف ارادتهُ على النحو الذي تقتضيهِ

(٢) حكم الوراثة . ولهُ في كل منا اثر مباشر في تكوينهِ الجسمي والعقلي . ومعلوم ان هذا التكوين لهُ شأن كبير في حركاتنا وسكناتنا وفي جميع تصرفاتنا وفي نظرنا الى الحوادث والاشياء وسائر ما في الحياة . وبكلمة اخرى في احكام ارادتنا على كل ماجلّ ودق من الاعمال

(٣) حكم العادة . فلكل فرد حسب ما كوّنتهُ الاوساط التي نشأ فيها وحسب تأثير وراثتهِ عليهِ وما انتابهُ من حوادث المرض والزواج والوظيفة التي يؤديها في الحياة نظامات يسير عليها وتؤثر فيهِ اشد التأثير . هذه النظامات هي عاداتهُ الفردية التي كونها لنفسهِ والتي اصبحت كما يقولون طبيعتهُ الثانية . وهو كما فكر في امر من الامور حكمتهُ تلك العادات في

التفكير وفي اتجاه ارادته . خذ مثلاً لذلك شخصاً اعتاد التدخين او اعتاد تناول ادوية معينة في اوقات معينة فترى ان هذه العادات لها في تصرفاته اثر كبير . كم ترى معتاد التدخين مخرف المزاج ضيق الصدر مسرعاً في الحكم اذا هو لم يجد سيجارته حاضرة تحت يده عند طلبه اياها . وكم تراهُ ساعة التدخين ميالاً في تفكيره الى طريق الاحلام والاماني . ثم كم ترى السقيم المعتاد تناول المورفين بعيداً عن الابتهاج بالحياة وما فيها اذا مُنع عنهُ

(٤) حكم الصدفة . ليس من ينكر ان صدفاً في الحياة غير منظورة خلقت لهُ مركزاً خاصًّا جعلهُ ينظم حياتهُ على شكل دون آخر من غير ان يكون لهُ دخل في تلك الصدف مطلقاً

فهذه العوامل التي تؤثر في حياتنا وارادتنا وتأثر هي باعمالنا وتنتقل الى الجيل الذي بعدنا محملة بماضي الانسانية الطويل مؤثرة في ذلك الجيل الجديد تترك الفرد منا وشأنهُ في وسط هذا العالم الهائل شأن اي ذرة اخرى من ذراته تسير في نظامهِ محكومة بقوانينهِ الخالدة غير مستطيعة لنفسها نفعاً ولا ضرًّا

قد يرد على هذه الحجج كلها اعتراض يجب عدم اهمالهِ . ذلك اننا في كل اعتباراتنا المتقدمة كنا دائمًا ننظر الى الارادة المطلقة كأنها مثال الارادة التي تطلب للانسان . وانا كنا نمثل الشخص الكامل الاختيار كأنهُ الشخص الذي يسير على غير قانون ونظام . وفضلاً عن هذا فكأنا اغفلنا فكرة الارادة النسبية اغفالاً تامًّا . فاذا صح ما قدمنا من ان الارادة الفردية محكومة بقوانين تحدد اختيارها الى حد كبير فان في هذه القوانين من السعة والتنوع ما يجعل لهذه الارادة مجالاً في العمل واسعاً

وفضلاً عن ذلك فقد كان بحثنا كلهُ دائراً حول الفرد معتبراً ذرة من الوجود متأثرة بما حولها . وما دام ذلك فلا يمكن الأَّ التسليم بان كل ارادة يجب ان تخضع لمقتضى قوانين الحياة . ولكن الواجب ايضاً ان ننظر الى الفرد كوحدة قائمة بذاتها مؤثرة في الحوادث مصرفة لها على نحو معين ومشكلة اياها بشكل خاص . اي انهُ يلزم لمعرفة مقدار حرية الارادة ان ننظر الى هذه الارادة حين تفاعلها مع الحوادث كمؤثرة فيها قبل ان تكون متأثرة بها ونقدر مبلغ ما لها من التصرف في هذا التأثير . وذلك يتحتم اكثر اذا علمنا ان العوامل المؤثرة في الارادة هي عوامل عامة على الغالب مشتركة بين كل الافراد . فان ما سميناهُ نحن حكم الصدفة يسير هو نفسهُ الى حد كبير على نظام يصيب الافراد منهُ بالنسبة لأثرهِ في ارادتهم لا في حظهم منهم غير قليل . فاذا نحن اطرحنا هذه العوامل المؤثرة على اعتبار انها متساوية في فعلها في الارادة ونظرنا الى الارادة بعد ذلك مجردة عنها كان لنا ان نحكم ان

لها في الحياة اختياراً يصرف حياة الفرد وكثيراً ما يحسب يبدو تصريف حياة الكون كله في مدة غير قصيرة من الزمن

وقد يضرب المعترض مثلاً ارادات مصرفة يجدها قاومت نظام الكون وغالبت قوى الطبيعة وتمكنت من اخضاعها ووصلت من ذلك الى المدنية الحالية وما فيها من المخترعات والعجائب . ولو انها اتبعت نظام الطبيعة وسارت على قانون اقل مجهود لبقي العالم متمسكاً في ظلامه القديم . لكن تلك الارادات القديرة عملت ونجحت في اخضاع اقسى ما تُعانيه في الحياة . فدعاة الاديان اثروا في العالم بتعاليمهم تأثيراً كبيراً وكذلك نابليون بونابرت بحروبه واعماله وقانونه المدني . وبوستنيان في التشريع الروماني . فهل هذه النفوس العظيمة التي اقامت المدنية واحيت تاريخ الانسانية ونشرت العلم والنور والهدى والحضارة ذرات تسير في نظام الكون محكومة بقوانينه الخالدة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرًّا وهل هذه الارادات القوية التي قلبت حياة الوجود لم تكن الا عجينة شكلتها ظروف الوسط واحكام العادة ومؤثرات الوراثة من غير ان يكون لها في نفسها اثر

هذا هو وجه الاعتراض الذي يوجه في مثل هذه الاحايين . ولسنا نقف دون هذا الاعتراض او نحسبهُ يغير شيئاً من صحة ما قدمنا . فان تحليلاً بسيطاً لمقاومة النفوس الممتازة وما احاط بها يجعلنا نؤمن تمام الايمان بانهُ لم يكن لاصحابها من الارادة في عملهم الا بمقدار ما اجبرتهم على السير فيهِ ظروف الحياة كما ان الوقوف عند الارادة الفردية لذاتها وتقدير يدها من العوامل المشتركة التي تؤثر فيها تظهر لنا هذه الارادة قوة عمياء لا تتحرك بنفسها ولا تتصرف باختيارها ولكنها تنتظر عوامل خارجية تدفعها للسير في الطرق التي ترسمها لها

ومن اجل ان نصل الى ذلك بحجج بينة واضحة يجب أن نفهم اولاً ما هي الارادة وكيف تريد . كان الكتّاب الاقدمون يحسبون الارادة قوة من قوى الروح . والروح عندهم شعاع لطيف خارج عن مادة جسم سار فيها سريان الريح في الورد والزيت في الزيتون والنار في الفحم مؤثر فيها غير متأثر بها . وكأن ريح الورد وزيت الزيتون ونار الفحم كانت في نظرهم قوى خارجة عن المواد التي تسري فيها . وعلى ذلك كانت الارادة عندهم قائمة بذاتها تكافح ثورات الجسم احياناً وتناهض ما قد تتجه نحوهُ شهواتهُ ورغائبهُ . ولما ان ذلك في مقدور هذه القوة فقد بنوا عليهِ تكليف الانسان اتباع الخير وتوجيه ارادته نحوهُ واجتناب الشر وتوجيه ارادته ضدهُ واعتقدوا انهُ مهما كانت الميول الانسانية شريرة بطبعها

فان قوة الارادة تكفي لتقويم عوج الطبيعة بمكافحة هذه الميول ومناضلة الطبيعة . وهذا هو عندهم اساس المسؤولية

لكنهم كانوا يرون في الواقع اشياء كثيرة تقف دون تعميم فكرتهم هذه واطلاقها . فكثيرون يوجهون همتهم الى جهة معينة ويريدون عملاً معيناً ثم تراهم وقد سقط في يدهم في كل ما ارادوا . كثيرون يريدون عيش الخمول ويعملون جهدهم لهُ ولكن صدفة مخوسة في اعتقادهم تقابلهم بامرأة تستغويهم وتضلهم سبيلهم . كثيرون يريدون عمل الخير للناس على نحو خاص ويبذلون قصد الوصول الى تحقيق غرضهم كل ما لديهم من الوسائل ثم ينقلب سعيهم وبالاً عليهم وعلى من يريدون به الخير لظروف خارجة عن ارادتهم وترتيبهم . وكثيرون لا همة لهم ولكن خطأً غير منظور يرفعهم الى درجات العلى ويضع من بين ايديهم المجزات . كان الكتّاب الاقدمون يرون ذلك كلهُ ويشعرون بانهُ يتفق مع فكرة الارادة المطلقة الخارجة عن مادة الجسم المسخرة لحركاته وسكناته حسب تدبير خاص فلا يستطيعون بغير الالتجاء الى ضعف الانسان وجهله تفسير عجزهم عن اطلاق فكرتهم على كل ما في الحياة . ووسيلة ذلك هي التسامح مع قوى خارجة عن الوجود وعن عالمنا لتتداخل تداخلاً غير منظور لنا وبالتالي غير معروف منا . وعن طريق هذه المداخلة من جانب تلك القوى تحدث هذه العجائب التي لا تسير على سنّة ولا يحكمها قانون . فصوّروا مداخلة الشيطان لاغوائنا في جهة الشر وجعلوا افعال الخير التي تصدر عنا اثراً من آثار الالهام الالهي ووحي خالق الروح والارادة . فلما احسوا ان مثل هذه المداخلة اذا اطلقت يصل بها الحال الى ملاشاة الارادة وملاشاة الارادة تفسد عليهم فكرة المسؤولية في الدنيا وفي الآخرة لان مبناها عندهم هو حرية الاختيار جعلوا الرجل مريداً وغير مريد معاً وحكموا انهُ مختار ومضطر في وقت واحد

وبعد تقلّب كثير في الافكار والفلسفات اطمأنت الافكار الى فكرة الاختيار النسبي لتضعها اساساً للمسؤولية

والاختيار النسبي هو افتراض الفرد مجبراً في مجموع حياته مختاراً في جزئياتها . ولما كانت معاملاتهُ مع الناس متعلقة بهذه الجزئيات كانت مسؤوليتهُ امام امثاله تامة لانهُ يتمتع بهذه المسؤولية بحرية تامة

محمد حسين هيكل المحامي
دكتور في الحقوق

مناجاة الموتى

توفي المستر ستد غريقاً في الباخرة تيتانك كما هو معلوم وكان من المعتقدين مناجاة الارواح المجاهرين بها يدّعي أن لروح بعض الموتى تناجيهِ من وقت الى آخر وتحرك قلمهُ فيكتب اموراً بعضها تافه وبعضها في حد الغرابة . وقد قامت ابنتهُ بعدهُ تدّعي دعواهُ وكتبت بالامس في مجلة ناش الانكليزية تقول

لما ابتدأ شهر يوليو من سنة ١٩١٤ موشحاً بالسلام قلما خطر على بال احد انهُ لا تمضي اربعة اسابيع حتى تنتشر فوق اوربا كلها سحابة حرب عامة . ولم ينصرم شهر اغسطس من تلك السنة حتى جعل الوف من شبابنا يتمرنون على الحركات الحربية مع ان ذلك لم يكن يخطر لهم ببال من قبل . فان جيشنا النظامي الصغير أرسل الى ميدان القتال وكانت البلجيك قد اجتيحت وكثيرون من رجالها ونسائها واولادها الذين لم تكن الحرب تخطر ببالهم كانوا قد قابلوا الموت وجهاً لوجه وغادروا هذه الحياة الدنيا وانتقلوا الى الاخرى . ولقد كان من حظ بعض الآباء والامهات ان سمعوا الكلمات الاخيرة من اولادهم الذين عادوا جرحى من ميادين القتال ولكن الاكثرين جاءهم نبي أولادهم او آبائهم او ازواجهن — سفكت دماؤهم في الذود عن وطنهم بعد ان خرج كل واحد منهم من بيتهِ وودع اهلهُ وهو ممتلئ قوة ونشاطاً . فقطرت اكباد ذويهم ولا يزالون يشعرون بلوعة الفراق

يُقال لهؤلاء تعزوا فان أولادكم وآباءكم وازواجكن ماتوا موتاً مجيداً سفكوا دماءهم في الدفاع عن وطنهم وسوف تلتقون بهم في امجاد السماء

ولكن لو استطعنا ان نثبت لهم ان الذين فقدوهم لم يزالوا في قيد الوجود وقد خلعوا الاجساد الترابية ولا يزالون احياء يرونهم ويحبونهم كما كانوا وهم في هذه الحياة الدنيا ولو لم يروهم وانهم قد يشعرون بوجودهم حولهم وشعورهم هذا حقيقي لا ريب فيهِ ولا هو من قبيل الاوهام — لو استطعنا ان نثبت ذلك للحزانى لوجدوا فيهِ اكبر عزاء . واي دليل على اثباتهِ اقوى من شهادة كبار العلماء والمفكرين مثل السر اولفر لدج والسر وليم بارت وغيرهما من كبار العلماء الذين لم يكونوا يصدقون ما يقال عن مناجاة الارواح . فبحثوا وحققوا حتى اقتنعوا وشهدوا ان التكلم مع ارواح الموتى امر حقيقي لا ريب فيهِ وان الروح لا تموت

وقد يقول قائل ان كان الامر كذلك فلماذا لا يتاح لنا نحن ايضاً ان نتكلم مع ارواح

موتانا . والجواب ان الذين يطلبون الوصول الى ذلك بالايمان والصبر يتغلبون على المصاعب التي تحول دونهُ و يصلون اليهِ ويتكلمون مع الذين فقدوهم ويعلمون حينئذٍ ان النفوس لا تموت

ومن اول الادلة على نفي الموت واستمرار الحياة صُوَر الارواح الفوتوغرافية ولاسيما الصور التي تصوَّر في الظلام (سكوتوغراف) لان في هذه الصور ادلة محسوسة لا تبقي مجالاً للريب . اما نحن فنعلم عن ثقة ان الذين فقدناهم لا يزالون معنا يشاهدوننا ويحادثوننا واما الذين يشكُّون في ذلك فلا يصدقون قولنا ما لم يستمعوا بآذانهم كلام الارواح كما نسمعهُ نحن ولكنهم اذا شاهدوا للارواح صوراً شمسيَّة او ليلية (فوتوغراف او سكوتوغراف) تُصوَّر حيث لا يحتمل الغش كما سيأتي يضطرون ان ينفوا ما يخامرهم من الشك وما يتَّهم بهِ المصدقون بمناجاة الارواح من التوهُّم والتخيُّل

ولقد رغب اليَّ ابي مراراً في ان يتصوَّر معي صورة فوتوغرافية تكون دليلاً آخر يضاف الى الادلة الكثيرة التي اقامها لي على انهُ لا يزال في قيد الوجود . ثم سنحت الفرصة منذ بضعة اسابيع لكي اتصورهُ . فانني ذهبت الى بلدة كرو والتقيت هناك بمسز بكستن ومسز هوب وكلتاهما من الفسيين الذين محَّضوا الحالة النورانية اللازمة لتصوير الارواح . وكنت قد اشتريت رزمة من الواح التصوير من لندن واخفيتها معي من غير ان افتحها . وكان هناك المستر هوب زوج احداهما وهو مصور فوتوغرافي جوَّال ووكيل شركة من شركات السوكرتاه فقابلني في بيت مسز بكستن وهي وزوجها من البسطاء في معيشتهم فجلسنا حول مائدة وضعتُ عليها رزمة الواح التصوير . وكنتُ قد تركت في بيت المستر وركر مخضر هو وزوجتهُ وجلسا معنا حول المائدة . ورغب المستر هوب اي نام النوم المغنطيسي حالاً وحضر الروح المحرك لهُ واسمهُ ماسا وجعل يوعز اليهِ وهو يرشدنا الى ما يجب ان نعملهُ . فطلب مني اولاً ان افحص آلة التصوير جيداً ففحصتها ثم ان اذهب مع المستر هوب الى الغرفة المظلمة وافتح رزمة الواح التصوير فيها وآخذ منها لوحين واكتب عليهما اسمي واضعهما في البرواز واراقبهُ الى ان يوضع في آلة التصوير ثم اخرجهما من الآلة واظهرهما بنفسي . ففعلت ذلك بيديَّ التي رزمة الالواح حتى تمغنطت ثم اخذتُها وسرت مع المستر هوب الى الغرفة المظلمة وكان قد افاق من غيبوبتهِ وفعلت حسبما ارشدني تماماً فظهرت صورتي في لوح التصوير ولم يظهر اثر لصورة ابي ولكن ظهرت مع صورتي صورة امرأة كانت صديقة لابي وقد توفيت قبلهُ ببضع سنوات وظهرت صورتها مرة مع صورتي قبل وفاتها . ثم اني لففت بقية الواح التصوير واخذتها معي ولم أحوِّل نظري عنها ولما تمت ابقيت يدي عليها حتى لا يبقى مجال للظن ان احداً ابدل لوحاً منها

وفي اليوم التالي وهو الاحد عرضت اربعة الواح وجربت في عرضها واظهارها كما جربت في اليوم السابق فظهرت على احدها صورة تلك الامرأة وصورة رجل يشبه أبي ولكنهُ اصغر منهُ سنًّا . ثم لفتت بقية الالواح واخذتها معي . وفي المساء جلسنا لاجل التصوير الليلي . والالواح التي تظهر الصور عليها كذلك لا توضع في آلة التصوير بل تبقى ملفوفة كما تشترى . فاشتريت زرمة جديدة من الواح التصوير ملفوفة بورق اسمر ومختومة ووضعتها على المائدة وجلسنا حولها انا ومسز هوب ومسز بكستن ومس ووكر ونام المستر هوب اي اصابتهُ الغيبوبة ومسكنا الزرمة بوضع ايدينا عليها وقيل لي حينئذٍ ان ارفع الزرمة بيدي اليسرى وامسكَ باسفلها جهة مسز هوب ففعلت وقيل لي ايضًا ان افتح الزرمة حالما يفيق المستر هوب من غيبوبته وأخرج منها اللوحين اللذين على وجهها واضعهما في البرواز وادع المستر هوب يصور في صورتين بنور يظهره بغتةً مبقيةً بقية الصور في يدي ثم أظهر هذين اللوحين وأظهر ايضًا لوحين آخرين من اسفل الزرمة التي في يدي . ففعلت كما امرت تمامًا واذا على احد الالواحين اللذين وقع عليهما النور صورة رأس رجل لم يعرف من هو وعلى احد اللوحين اللذين اخرجتهما من اسفل الزرمة ولم يكونا قد وضعا في برواز آلة التصوير الكتابية التالية بعضها بالفرنسوية واكثرها بالانكليز ومعناها

« سعدت مساءً يا صديقي العزيز مرحبًا بك

« يا اصدقائي كلكم

« اشجيت لجاح صديقنا وانا آسف لان صديقنا ستد لا يقدر ان يكتب الآن كتابة الارواح ولكن لا تستعجلوا فان عندنا صورة صديقنا ستد وصديقيه . التحيات للجميع وايضًا مس سكتشارد

« صديقكم كولي

« وهنا صديق آخر يود التكلم وقد اغتنم هذه الفرصة لذلك

« ايها الاصدقاء الذين في هذه الخلقة

« انا معكم وانتظر وارجو ان يصفو لنا الزمان بالاجتماع معكم

« صديقكم ووكر الى اللقاء

اما اللوح الآخر فلم يكن عليهِ شيءٌ مطلقًا . وكولي المذكور هنا رئيس شمامسة ارتشديكن) وكان مغرمًا بالبحث في هذا الموضوع وقد توفي سنة ١٩٠٢ . ولا يحتمل ان تكونَ هذه الكتابة منقولة عن كتابة كتبها في حياتهِ . واخط خطهُ والتوقيع توقيعهُ بلا

ريب كما يظهر من المقابلة بخطهِ حينما كان على الارض . وكذلك خط المستر ووكر مثل خطهِ

ولما رأيت ان ابي لم يقدر ان يكتب أسقط في يدي ثم اوضح لي السبب بقولهِ انهُ احتاط من تصويرهِ مرتين قبل ذلك حتى صار يستحيل عليهِ ان يكتب ولكنهُ سيكتب حالما تحين الفرصة المناسبة

وصباح الاثنين جلست الجلسة الاخيرة وأحضرت معي رزمتي الواح التصوير ولم أكن افارقها وقيل لي ان آخذ لوحين من احداهما فاخترت الرزمة التي اخذت منها الالواح للصور الليلية وفحصت آلة التصوير واظهرت الصور بيدي فظهرت امامي صورتان لابي تشابهانهِ تمامًا ولم ارَ لهُ صورة فوتوغرافية تماثل هاتين الصورتين حتى يقال انها وضعت امام اللوح قصد الخداع وزد على ذلك ان ابي نفسهُ خاطبني وقال لي ان هاتين الصورتين صوّرتا عن ذاتهِ فعلاً ولا اطلب من احد ان يصدق قولي هذا لمجرّد انهُ قولي ولكن ان كان احد يستطيع ان يظهر صورة ابي على الواح التصوير خداعًا فليفعل . ثم ما قول المشكك في الصورة الليلية التي صورت في الظلام

هذا وما اكثر الذين ناجوا الارواح وخاطبوها ورسمت لهم الارواح كثيراً من الكتابات في الظلام باليونانية واللاتينية وغيرهما من اللغات . وقد اجتزيت عن ذلك كلهِ بما ذكرت مما اخترتهُ بنفسي عسى ان يكون فيهِ ما يشجع كل من فقد عزيزًا حتى لا يحزن عليهِ بل يعتقد انهُ لا يزال حيًّا ويستطيع ان يخاطبهُ اذا صبر وآمن واجتهد

اما الذين قُتلوا في هذه الحرب فقد قال ابي لي عنهم ان كثيرين يعتنون بهم وانهُ قد انتظمت جماعات فيها من الشبان الذين توفوا فجأة لكي يعتنوا بالذين يقتلون من شبابنا وشبان غيرنا من الامم وقد وصل هؤلاء والبعض منهم في حالة الذهول والبعض في حالة الجوع ولكن الجماعات تعتني بهم كلهم وهم الآن ليسوا في حالة تأذن لهم برؤية اقاربهم ولا بدَّ ما تمضي مدة قبلما يتيسر لهم ذلك . واذا افتكرنا فيهم وصلينا لاجلهم ساعدهم على الخلاص من الذهول الذي هم فيهِ ومتى خلصوا منهُ جعلوا يساعدنا برغائبهم

واهم ما وجّه ابي فكري اليهِ هو ان الجميع يودُّون ان يقنعوا الذين يبكونهم في هذه الدنيا بانهم لم يموتوا او كما قال السر اوليفر لدج « انهم يودون ان اصدقاءهم واحباءهم لا يغالون في الحزن عليهم ولا يحسبون انهم تلاشوا . الحزن على فراق الاحباء امر طبيعي ولكن الافراط فيهِ يؤلمهم . فانهم قاموا بما يطلب منهم هنا وسيقومون بما يطلب منهم هناك وهذا الفراق سيعقبهُ التلاقي حتماً واذا تحقق الناس هذه الامور قلَّ الحزن وامتزج بالرجاء »

انتهى ما كتبتهُ ابنة ستد . وما يقال عن بقاء الانفس بعد موت الاجساد واعلالها لا يناقضهُ العلم الطبيعي ولا يخالفهُ وقد يساعد على تأييدهِ بمبدإ بقاء القوة واستحالة التلاشي . فان افكار الانسان كلها قوات تصدر منهُ و بحسب العلم الطبيعي يحتمل ان تتحوَّل الى قوى اخرى كما تتحول الحركة الى كهربائية والكهربائية الى حركة ويحتمل ان تجتمع في مكان ما في هذا الكون فتحفظ لكل امرئ افكارهُ التي فكَّر فيها وهو في هذه الحياة الدنيا . ولكن تصوير جسد الانسان صوراً فوتوغرافية وليس امام آلة التصوير لا جسدهُ ولا صورتهُ منقوض بما يعلم من نواميس العلم الطبيعي لان التصوير الشمسي اي التأثير الكيماوي في الالواح المعدة للتصوير الشمسي يقتضي ان تنعكس اشعة النور عن جسم يعكسها ونقع على لوح التصوير لتؤثر فيهِ التأثير الكيماوي الذي يجعل الصورة ترتسم عليهِ . ولو وُجد هذا الجسم الذي يعكس اشعة النور لرآهُ الحضور بالنور الذي ينعكس عنهُ

هذا وقد ابنا في مقتطف يناير سنة ١٩١٤ ان المستر ستد كتب سنة ١٩٠٩ مقالة مسهبة في مجلة النور تتبتلي الانكليزية ذكر فيها انهُ صُوِّر مرةً صورة فوتوغرافية فظهرت معها صورة رجل من قواد البوير الذين قتلوا في حرب البوير . وكان المصور لهُ من الذين يدعون تصوير الارواح واعتقد ستد انهُ لم يخدعهُ وان صورة ذلك القائد لم تكن معروفة في انكلترا . ولكن الدكتور تكت اثبت بعدئذٍ ان صورة ذلك القائد كانت معروفة مشهورة في بلاد الانكليز وقد نشر في جريدة الغرافك التي صدرت في ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ اي قبل صورت صورة ستد المشار اليها آنفاً بعشر سنوات وكتب تحتها اسم ذلك القائد وانهُ من قوَّاد البوير وقد قتل قرب كمبرلي

ثم تألفت لجنة من كبار الباحثين بطلب جريدة الديلي مايل سنة ١٩٠٩ فاثبتت بادلة فنية يعلمها المصورون ان الصور الفوتوغرافية التي فيها صورة شخص معلوم وصورة روح شخص آخر من الموتى انما هي مصوَّرة مرتين لا مرة واحدة . فلم تبقَ شبهة في ان المصورين الذين يدَّعون تصوير الارواح محتالون يخدعون الناس بانعامهم اي انهم يتمكنون احياناً بحيلهم من اخذ اللوح الذي صورت عليهِ صورة الشخص المراد ويصورون عليهِ صورة اخرى منشأة لتظهر كأنها صورة خيالية لشخص آخر من الاموات

اما كيف يخدع رجل مثل ستد وسيدة مثل ابنتهِ فسنأتي على ايضاحهُ في مقالة اخرى نشرناها في مقتطف فبراير سنة ١٩١٤ وربما عدنا الى هذا الموضوع في فرصة اخرى

اليانصيب او اللوتريه

قديماً وحديثاً

اليانصيب شيء معروف لا يحتاج الى زيادة تعريف . فمن لم يشترِ في كبره من اوراق اليانصيب على جوائز مالية وغير مالية فقد قامر في صغره على اشياء تافهة لا قيمة لها ولكنها ذات قيمة في عين الصغير . قال بعضهم كل شيء فيه قمار فهو ميسر حتى لعب الصبيان بالجوز

واليانصيب كلمة مؤلفة من ياء النداء ونصيب والنصيب الحظ والحصة من الشيء في الشرع ومنهُ قولهم ضرب فلان بنصيب اي فاز وذلك انهم كانوا يضربون بالقداح ويجيلونها فيربح من يربح و يخسر من يخسر . والقداح سهام الميسر . فاليانصيب والقمار شيء واحد ولكن اليانصيب جائز في بعض البلدان والقمار ممنوع في كل مكان

واسم اليانصيب عند الفرنجة لوتريه وليس لهذه الكلمة معنى محدود وهم يريدون بها كل عمل من شأنهِ اعطاء جوائز بالقرعة (lot) سواء كان القرض النسائية او المقامرة او المنفعة العامة . وكلمة (lot) جرمانية الاصل اقتبستها اللغات اللاتينية عن الجرمانية والاصل الجرماني (hleut) ولا يعرف معناهُ تماماً . وكان معنى كلمة (lot) في مبدإ اقتباسهم اياها كل شيء يستعمل لالقاء القرعة كأن يكون ذلك الشيء قرصاً من الخشب او من المعدن كالدرهم او حصاة او حبة فول او قدحاً يضرب بها لكشف امور شتى بارشاد الهي من مثل الفصل في الخصومات وتوزيع التركات وتقسيم الاملاك وانتخاب المأمورين وما اشبه ذلك ثم انتقل هذا المعنى الى ما يصيب الشخص بالقرعة من مال او عقار او غير ذلك

فلنا ان غاية اليانصيب عند الاقدمين كانت التسلية او المقامرة او المنفعة العامة . ففي بعض اعياد الرومان وولائم اشرافهم كانوا يقيمون اليانصيب للتسلية و يعطون الاضياف هدايا يسمونها apophoreta . وبالغ بعض امبراطرتهم في قيمة تلك الهدايا حتى ان نيرون كان يضع القطائع و يعطي المنازل و يهب العبيد والاماء ومنهم من كان يوزع تذاكر اليانصيب على اصدقائهِ وحشمهِ ثم باقي القرعة على اشياء ثمينة كإناء من الذهب واشياء لا قيمة لها ولا معنى كست ذبابات مثلاً

واقتبس امراء اوربا المتوسطة والحديثة وخصوصاً امراء ايطاليا هذه العادة فكانت اهم مظاهر الولائم التي كان لوبس الرابع عشر يصنعها في بلاطهِ . وعمدت الجمهوريات الايطالية في القرن السادس عشر اليها لترويج السلع في الاسواق . وتمتع باقامة اليانصيب في فرنسا في عهد الملك فرنسيس الاول في اواسط القرن السادس عشر . واشهر يانصيب اقيم فيها

بعد ذلك يا نصيب سنة ١٦٥٦ وكان الغرض منهُ بناء جسر من الحجر بين اللوفر وسان جرماين . ثم تعاظم شأن اليانصيب في فرنسا حتى حلّ محلاً عالياً في ماليتها وكان البرلمان يعترض عليهِ آنا بعد آن ولكن الوزير مازاران وافق عليهِ فلم يقف احد في وجههِ . وقدر الوزير نكر النفقات العمومية على اليانصيب في اثناء نقلدهِ لمنصب المالية باربعة ملايين ليرة في السنة

وكان هناك لوتريات للجمعيات الدينية والمبرات اعظمها اثنتان الواحدة لاهل السلك والثانية للقطاء ثم اقيم يانصيب باسم المدرسة الحربية وادمجت هذه الثلاثة في اليانصيب المعروف باسم اليانصيب الملكي بموجب امر عالٍ صدر سنة ١٧٧٦ . ألغيت بهِ سائر اللوتريات في فرنسا . وكانت طريقة هذه اللوتريات الكبرى اخذ $\frac{5}{24}$ من الاموال التي تجمع بها للنفقات وللاعمال الخيرية ورد الباقي الى الذين اكتتبوا بهِ من الجمهور . وكان السحب يقام خمس مرات والفائزون في الاولى خمسة واحد يأخذ ١٥ ضعف ما دفع ثمن التذكرة . وثان يأخذ اكثر من ذلك الى الخامس وكان يربح مليون ضعف ثمن التذكرة . ثم يقام السحب اربع مرات اخرى تعطى فيها الجوائز مجاناً وكان اسمها primes gratuites

وسنة ١٨٣٦ ألغيت اللوتريه الملكية وسنّ قانون سنة ١٨٤٤ يجيز اقامة اللوتريات للمبرات ولمساعدة الفنون الجميلة . وسنة ١٨٧٨ بيع في باريس ١٢ مليون تذكرة يانصيب ثمن الواحدة منها فرنك لدفع ثمن الجوائز التي وزعت على العارضين في المعرض الكبير ولدفع نفقات اخرى . وكانت قيمة الجائزة الاولى ٥٠٠٠ جنيه والثانية ٤٠٠٠ جنيه وكل من الثالثة والرابعة ٢٠٠٠ . ويجوز للشركة العقارية في فرنسا الآن ولكثير من البنادر الكبرى ان تعقد قروضاً تستهلك سنداتها التي تسحب بالقرعة وهذا ممنوع في انكلترا والمانيا

وسبقت البلجيك فرنسا في الغاء اللوتريات فالغتها سنة ١٨٣٠ ثم حذت اسوج حذوها سنة ١٨٤١ وسويسرة سنة ١٨٦٥ . ومن البلاد ما اليانصيب مكان من ميزانيتهِ الرسمية كالنمسا وبروسيا وغيرها من ممالك المانيا وامارتها وهولندا واسبانيا وايطاليا والدنمرك . اما اللوتريات الوقتية فكثيرة في بلاد اوربا المختلفة وهي اما كبيرة واما صغيرة لقام لغايات شتى كالبر ومساعدة المشروعات الصناعية والفنية والزراعية وبناء المعابد وما شاكل من الاغراض . على ان بلاد اوربا كلها وفي جملتها البلاد التي تقام فيها اللوتريات الرسمية ويعين دخلها لزيادة دخل الحكومة جعلت تقاوم اللوتريات الخصوصية التي تقام جزافاً بلا غرض معين مراد للبر والاحسان حقيقة

وفي سنة ١٩٠٤ نظرت الوزارة البروسية في مشروع اقترحهُ بعضهم لانشاء صندوق

توفير للعمال ولوتريه وطنية تلحق به . والغرض منهُ الانتفاع بميل الناس عامة الى المقامرة لاصلاح حال طبقة العمال . وقوى هذا المشروع جمع اعانات اسبوعية معينة من المكتتبين تختلف من نصف شلن الى اربعة شلنات . وفائدة هذا المال لا تعطى للمكتتبين بل تعين جوائز في يانصيب يقام من حين الى حين عدد تذاكره ٣٠٠ الف يمكن قسمتها انصافاً وارباعاً واثماناً على حسب مقدار المبالغ التي تودع في الصندوق كل اسبوع . ويكون عدد الجوائز ١٢٥٠٠ قيمتها كلها ٢٧٠٠٠ جنيه . فتكون للمكتتب من جهة فرصة للربح في هذه الجوائز ثم لا يخسر من الجهة الاخرى شيئاً من المال الذي يدفعهُ الى صندوق التوفير اسبوعياً

اما انكلترا فمهد اليانصيب فيها قديم كغيرها واول يانصيب وافقت الحكومة عليهِ اقيم سنة ١٥٦٩ وكان الغرض منهُ اصلاح المرافئ الانكليزية وجعل صدد اوراقهِ ٤٠ الف الواحدة بنصف جنيه وكانت الجوائز صحافاً وغيرها من السلع . ثم لما تمادى اصحاب اللوتريات في غيهم حتى ابتزوا دريهمات الاولاد والخدم وغيرهم من السذج والجهال ألغت الحكومة جميع اللوتريات ما عدا واحدة ثم شمل هذا الالغاء فيما بعد كثيراً من العاب النرد والورق وغيرها من الالعاب المعروفة . ومع ذلك بقيت الحكومة تربح اموالاً كثيرة بين اوائل القرن الثامن عشر والتاسع عشر من لوتريات تقام بموجب قوانين برلمانية . وكانت الجوائز اما معاشات وقتية او دائمة الى نهاية العمر . وقد حسب ربح الحكومة منها بين سنة ١٧٩٣ وسنة ١٨٢٤ فقط فكان متوسطهُ ٣٤٦٧٦٥ جنيهاً في السنة

وكانت اللوتريات تقام اولاً لعقد قروض تنفق على المنافع العمومية ثم اقتصرت فيما بعد على غايات معينة كتحسين منظر لندن او انشاء متحف او شراء صورة من قلم مشاهير المصورين ووضعها في المتاحف العمومية او غير ذلك ولكنها الغيت كلها سنة ١٨٢٦ بمساعي بعض كرام الانكليز . وعاد البعض يسمون في احيائها بعد الغائها باربع سنوات فلم يلقوا اذناً صاغية ولا تعضيداً من احد ولكن الحكومة سمحت سنة ١٨٣١ خطأً باقامة لوتريات في مدينة غلاسكو لتحسين منظرها ثم لم تلبث ان الغتها ١٨٣٤ . وآخر يانصيب اشتهر في انكلترا هو ما عرف باسم Bethier's twelfth-cake اي كعكة دثير الثانية عشرة وقد الغي سنة ١٨٦٠

هذا في انكلترا . اما في اميركا او الولايات المتحدة الاميركية) فان الكونجرس فيها (مجلسي النواب والشيوخ مجتمعين) اجاز انشاء لوتريه وطنية سنة ١٧٧٦ . ثم وافق بعد ذلك على نحو ٧٠ قانوناً بانشاء لوتريات لمقاصد عمومية مختلفة مثل فتح مدارس ومد طرق . وكان يردُّ نحو ٨٥ في المئة من المبالغ المجموعة الى اصحابها في صورة جوائز مالية توزع

باليانصيب . ومنذ سنة ١٨٣٣ جعلت ولايات اميركا المختلفة تنكر اللوتريات رسميًّا وتنبذها حتى لم تبق الا ولاية واحدة تعمل بها وهي ولاية لويزيانا فقد انشئت فيها سنة ١٨٦٨ شركة باسم لوتريه ولاية لويزيانا ونالت احتكاراً دفعت به ٤٠ الف ريال الى خزينة الولاية ثم جدد سنة ١٨٧٩ الى ٢٥ سنة اخرى . وقامت الشركة سنة ١٨٩٠ تسعى في تجديد امتيازها قبل الاوان فرفض طلبها وفي هذه السنة حظر الكونجرس استخدام البريد الاميركي لترويج اية لوتريه كانت واصدر قانوناً بذلك شدّد فيه كل التشديد الى حد ان جعل استخدام البريد الاميركي لبيع سندات الحكومة الفدرية جناية يحاكم صاحبها عليها لعلاقة تلك السندات باليانصيب . وكان على هذا الاثر ان شركة لوتريه ولاية لويزيانا نقلت الى هندوراس حيث لا تزال الى الآن تبيع معظم تذاكرها واوراقها في الولايات الجنوبية

وبعدما حرّم اليانصيب في اميركا صدرت احكام كثيرة تحدّده وقوى هذه الاحكام انهُ حيثما يكون مجال للحذق والفراسة فلا يانصيب هناك اذ قوام اليانصيب الصدفة والاتفاق وهو يشبه قوى حكم الاستئناف المختلط هنا في تحليل البوكر اذ قيل ان مجال المهارة في لعبة البوكر اوسع من مجال الصدفة . وقد سنت قوانين كثيرة في اميركا ضدّ اليانصيب بحجة انهُ يروّج الميل الى المقامرة وان من واجبات الحكومة صيانة آداب الرعية وزيادة رفاهها وغيرها . وحرّمت حكومات الولايات المختلفة مشروعات عديدة اساسها اليانصيب . فحرمت ولاية نيويورك مثلاً اقامة معرض وزعت به تذاكر تخوّل حاملها حق الحصول على جائزة بالقرعة وفي ولاية انديانا حرّم اعطاء ساعة ذهب لمن يشتري بضاعة من محلّ تجاري معروف بشرط ان يحزر عدد حبوب فول موضوعة في زجاجة . وحرّمت ولاية كنتكي منح جوائز بطريقة الكوبونات بشرط ان يتهجأ حامل الكوبون كلمة تلقى اليه . واصدرت محكمة كنساس العليا حكماً اجازت فيه للتجار ان يعطوا دبابيس للبرانيط هدايا للسيدات اللواتي يشترين من مخازنهم وقالت في حكمها ان ذلك ليس محرماً اذ ليس فيه مجال للصدفة او اليانصيب . وحرمت ولاية تكساس الآلة المعروفة التي يوضع في شقها بعض دريهمات فاما ان يخسرها واضعها واما ان يربح ضعفيها او خمسة اضعافها الى ٢٠ ضعفاً

وقد حدّد احد الكتاب الاميركيين اليانصيب بقوله « اخصّ" مميزات اليانصيب الحصول بواسطة الصدفة والبخت وبواسطة دفع مال او شيء آخر ذي قيمة على مال اكثر او شيء ذي قيمة اعظم من القيمة المدفوعة . فاذا كانت هذه اخصّ" خواص" مشروع ما فهو داخل تحت قانون اللوتريه مهما يكن اسمهُ او مهما تكن الحجب التي تسدل عليه لاخفاء

حقيقته » . وبلغ من اهتمام الحكومة الاميركية بمنع اليانصيب ان نهت عن جلب تذاكر اللوتريات واعلاناتها من الخارج الى اميركا . وجاوزت حدود الولايات المتحدة فحرمت اللوتريات في البلاد التابعة لها مثل الاسكا وهاواي وبورتوريكو

ذكروا ان العرب في الشتاء والجدب كانوا يتقامرون بالقداح على الابل ثم يجعلون منها لذوي الفقر والحاجة فانتفعوا واعتدات احوالهم . قال الاعشى في ذلك

المطعمو الضيف اذا ما شتوا والجاعلو القوت على الياسر

والياسر الجازر لانهُ يجزئ لحم الجزور . وكانوا يدفعونها الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك و يذمون من لم يدخل فيهِ ويسمونهُ البرم . واما كيفية ضربهم بالقداح فهي انهم كانوا يشترون جزوراً فينحرونها ثم يجزئونها اجزاء على عشرة في رواية وعلى ثمانية وعشرين في رواية اخرى وهي رواية الاصمعي . ثم يسهمون عليها بعشرة قداح سبعة منها لها انصباء وثلاثة ليس لها . ثم يجعلونها على يد رجل عدل عندهم يجعلها لهم باسم رجل ثم يقتسمونها على قدر ما تخرج لهم السهام فمن خرج سهمهُ من هذه السبعة اخذ من الاجزاء بحصتهِ ومن خرج لهُ واحد من الثلاثة فقد اختلف الناس فيهِ فمنهم من يقول انهُ لا يأخذ شيئاً ولا يغرم شيئاً ولكن يعاد الثانية ولا يكون لهُ نصيب ويكون لغواً . ومنهم من يقول بل يصير ثمن الجزور كلهُ على اصحاب الثلاثة فيكونون مقمورين ويكون اصحاب السبعة قامرين او ياسرين . وربما نقص عدد الرجال عن السبعة فياخذ الرجل منهم قدحين فاذا فعل ذلك مدح بهِ ويسمّى مثنى الايادي . قال النابغة يمدح نفسهُ

اني اتيم ايساري وانعمهم مثنى الايادي واكسو الجفنة الأدما

والايسار جمع يسر وهذا جمع ياسر

وتجمع القداح في جلدة او خرقة ثم تجمع اطرافها و يعدّل بينها وتكسى اديماً لكيلا يجد من لهُ قدح راي فيهِ وتشدّ عيناهُ فيجمع اصابعهُ عليها و يضمها ثم يضرب رؤوسها بحافة راحتهِ فايها خلع من الجلدة ويسمونها الربابة كان فائزاً وقيل غير ذلك واسم الجائزة الاولى او اول سهام الميسر الفذّ والخاسر الاخير الرغد ومنهما المعنيان المعروفان اصطلاحاً

هذه خلاصة تاريخ اليانصيب منقولاً عن اوثق المصادر . وقد ورد ذكر اليانصيب او ما يشبههُ في التوراة حيث قيل ان القرعة وقعت على يونان وهو هارب في سفينتهِ فألقي في البحر . وفي الانجيل حيث قيل ان الجنود الرومانيين اقتسموا ثياب السيد المسيح بالقرعة . وربما اتينا في مقالة قادمة على اليانصيب واساليبهِ في هذا القطر

نجيب شاهين

الحبوب وما فيها من الغذاء

تمهيد

الحبوب من اكثر مواد الطعام غذاء وهي في هذا القطر القمح والذرة بنوعيها البلدي والشامي والشعير والارز . والمواد المغذية فيها هي البروتين ومنهُ الغلوتن الذي يسبب حيل الخبز او عرقهُ والنشاء والدهن وبعض المواد المعدنية التي تبقى من الحبوب رماداً اذا حرقت . ويختلف مقدار هذه المواد كلها اختلافاً قليلاً باختلاف الحبوب كما ترى في هذا الجدول

	رطوبة	بروتين	دهن	نشا	رماد
دقيق القمح	١٢ في المئة	١٠٥ في المئة	١ في المئة	٧٥ في المئة	١٥ في المئة
» الذرة	١٣ »	٩ »	٢ »	٧٦ »	١ »
» الشعير	١٢ »	١٠ »	٢ »	٧٤٥ »	٢ »
ارز	١٢ »	٨٠ »	٣٠ »	٧٩٣ »	٥٠ »

فالرطوبة تكاد تكون واحدة في كل هذه الانواع ولكنها تختلف كثيراً في النوع الواحد حسب كونهِ مزروعاً في ارض كثيرة الرطوبة او ارض كثيرة الجفاف . فالقمح الصعيدي قليل الرطوبة والقمح المستاوي كثير الرطوبة . والبروتين يختلف حسب كون السن الاحمر الذي يستخرج منهُ السميد مزج به او لم يمزج فان جانباً كبيراً من البروتين يكون في السن ومتى زاد البروتين في النوع الواحد زاد الدهن ايضاً وقل مقدار النشاء النسبي

والجدول المتقدم مبني على تحليل الحبوب لاميركية في اميركا اما القمح الذي يزرع في القطر المصري فقد حللهُ المستر فرنك هيوز كيماوي وزارة الزراعة المصرية فوجد مقدار الماء والنتروجين فيه كما ترى في هذا الجدول

دقيق القمح الهندي من لقاوي مصرية	رطوبة ١٤٢ في المئة	نتروجين ١٦٥ في المئة
» » » » هندية	» ١٠٤٦ »	» ٥٣٠ »
» القمح البلدي الاحمر	» ١١٠٤ »	» ١٤٨ »
» » » الابيض	» ١٠٣٤ »	» ١٩٨ »
» » الصعيدي الابيض	» ١٠٠٢ »	» ١٦٠ »

دقيق القمح الصعيدي الاحمر رطوبة ٩٫٨٦ في المئة نتروجين ١٫٦٤ في المئة
« « الفيومي « ١٠٫٠٦ « « ١٫٥٥ «
« « البحيري « ١٠٫٧٤ « « ١٫٥٠ «

واذا ضرب مقدار النتروجين بستة وربع عرف مقدار البروتين. ولم يبلغنا ان احداً في هذا القطر حلل انواع الذرة التي تزرع فيه ولكن ارسل شيء الى الولايات المتحدة الاميركية من الذرة البلدية وزرع فيها وحلل دقيق حبوبها هناك تحليلاً كيماوياً فوجد انهُ اكثر غذاء من دقيق الذرة الاميركية واقل منهُ مواد خشبية ولا يقل ما فيهِ من الغذاء عما في اجود انواع دقيق الحنطة. ولعل هذا سرُّ ما يقولهُ الفلاحون الذين يعتمدون على الذرة البلدية في عمل خبزهم من اهالي الفيوم وسائر الوجه القبلي. واذ قد تمهَّد ذلك نشرح كل نوع من هذه الانواع الاربعة

القمح

القمح اكثر الحبوب استعمالاً لعمل الخبز في اوربا واميركا وجانب من غرب اسيا وشمال افريقية واصنافهُ كثيرة جدًّا وهو يقسم عادة الى صنفين كبيرين من حيث عمل الخبز منهُ الواحد يصنع منهُ خبز يرفع كلهُ بالانتظام ويسمَّى متينًا والثاني لا يرفع خبزهُ جيداً ولا يكون رفعهُ منتظماً ويسمَّى خفيفًا. وكان المظنون ان المتانة تتوقف على كثرة النتروجين في الدقيق ثم ظهر ان مقدار المتانة يتوقف على مقدار غاز الحامض الكربونيك الذي يتولَّد في العجين وقت اختمارهِ وعليهِ فالقمح الصعيدي الاحمر امتن من غيرهِ

واذا فصصنا حبة القمح طولاً بسكين ماضية وجدنا في احد طرفيها لكتة صغيرة بيضية الشكل وهي الجرثومة التي تنمو اذا زرعت حبة القمح. وسائر الحبة مؤلف من مادة بيضاء نشوية وهي التي يخرج منها وقت الطحن السن الابيض أو الدقيق. وحبوب النشا فيها يحيط بها غشاء رقيق كأنهُ اجربة مملوَّة من دقائق النشا وهي كثيرة جدًّا يبلغ عددها في حبة القمح نحو عشرين مليونًا. ويكون لون النشا ابيض ناصع البياض وقد يكون اصفر قرنفليًّا بكاد يكون شفافًا. ويحيط باجربة النشا طبقة رقيقة مؤلفة من حبوب صغيرة قرنية الشكل مملوَّة من الغلوتن الذي يتوقف عليهِ متانة العجين ومنهُ السن الاحمر الذي يخرج منهُ السميد المستعمل في عمل المكرونات. ويحيط بذلك الطبقة الظاهرة التي تخرج منها الرضة (النخالة) الخشنة التي تطعم للبهائم والرضة الناعمة التي توضع تحت الارغفة وقت رقها

وقد قدَّر الدكتور شرمن ان الرضة في القمح الاميركي الخشنة والناعمة تبلغ ٥ في المئة

من القمح . والسميذ او السن الاحمر ٨ في المئة والجرثومة وغلافها ٥ في المئة ودقائق النشا واغلفتها (اي الدقيق) ٨٢ في المئة . ولكن تجار الطحين عندنا يقدرون الرضة الخشنة والناعمة ١٧ في المئة والسن الاحمر ٤ في المئة والسن الابيض ٤ في المئة والدقيق ٧٥ في المئة . والظاهر ان الرضة تزيد عندنا لاحتوائها على جانب كبير من الجرثومة ومن طبقة السميذ ولذلك تحسب من المغذيات

وكان القدماء يسحقون حبوب القمح بين حجرين لاستخراج الدقيق منها وعمل الخبز ثم استنبطوا الرحى من حجارة مستديرة كالاقراص تدار بالماشية او بقوة انحدار الماء واخيراً ادیرت بالهواء او بالبخار واخيراً صنعوا اسطوانين من الفولاذ (الصلب) تدور الواحدة منها على الاخرى وتمر حبوب القمح بينها فتهرس ثم تطحن . وهذه الطريقة لا تبقي في النخالة شيئاً من الدقيق . ولكن اذا اريد ان يحوي الدقيق على اكثر ما في القمح من الغذاء وجب ان يمزج بالسن الابيض وبالسميذ بعد طرقه حتى يزول منهُ ما يمازجهُ من دقائق النخالة . ويخشن ملمسهُ حينئذٍ ولكن يصير اجود خبزاً واكثر غذاء وقد يسمرُّ لون خبزهِ قليلاً حينئذٍ اذا لم ينظف السميذ جيداً

وقد تتعدَّد الاسطوانين في المطاحن الاوربية والاميركية الكبيرة حتى يقسم بها الطحين الى اربعين قسماً مختلفاً ثم يمزج بعضها ببعض للوصول الى اجود انواع الخبز لوناً وقواماً وتعرف نسبة العناصر في بعض اشكال الدقيق وبعض اجزاء القمح الاميركي من الجدول الآتي

	القمح	النخالة	الجرثومة	الدقيق التالي	الدقيق الرخيص
رطوبة	١٣٫٩٠	١٢٫٨٥	٦٫٨٠	١٣٫٧٥	١٣٫٢٢
رماد	٠٢٫١٥	٠٥٫٨٠	٤٫٦٥	٠٠٫٣٣	٠٠٫٩٠
الياف	٠٢٫١٧	٠٦٫١٤	١٫٦	٠٠٫١٧	٠٠٫٧٤
دهن	٠٢٫١٥	٠٥٫٢٠	١٤٫٣٨	٠١٫٠٥	٠١٫٧٠
بروتين	١٢٫٣١	١٥٫٥٦	٣٠٫	٠٩٫٦٩	١٣٫٨٩
نشا	٦٧٫٣٢	٥٤٫٤٥	٣٦٫٥٥	٧٥٫٠١	٧٠٫٥٦

اي ان البروتين (وهو المادة الكثيرة الغذاء) اكثر في الدقيق الرخيص منهُ في التالي ولكن البروتين مؤلف من مواد مختلفة اهمها في عمل الخبز مادة اسمها غليادين لانها تساعد على رفع الارغفة وهي اكثر في الدقيق التالي منها في الرخيص . وسيأتي الكلام على سائر الحبوب المذكورة في هذه المقالة

التنكيت والتصوير الهزلي

نشرت مجلة « المقتطف » في شهر نوفمبر كلمة شائقة عن المزاح والصور الهزلية فاحببتُ ان أُوافيها بهذه البذة إتماماً للفائدة وتفكهة للقراء

ولما كانت الصورُ الهزلية التي يسميها الفرنجة "Caricature" قليلة الشيوع في صحفنا رأيتُ ان يتناولَ البحثُ ما يُطلقُ عليهِ عندنا اسم « النكتة » لشدَّة العلاقة بين هذين النوعين من المزاح اذ ان الصورة الهزلية ليست في الغالب الأَ نكتةً مصوَّرة

النكتةُ في كتب اللغة المسئلة الدقيقة أُخرجت بدقة نظرٍ واسعان فكرٍ — من نكت رمحهُ بالارض اذا اثَّر فيها — لتأثر الخواطر باستنباطها وقيل لانها توثر في النفس قبضاً وقيل بسطاً . ويقال لها « اللطيفة » اذا كان تأثيرها في النفس حيث تُورث نوعاً من الانبساط . وقيل النكتة من الكلام الجملة المنقَّحة المحذوفة الفضول . ويقال : نكَّت في كلامهِ جاء بالنكت

والنكتة في مصر معروفةٌ مستملحة . وقد اشتهر المصريون بالتنكيت بين أُمم الشرق اشتهار الفرنسويين بهِ بين أُمم الغرب . ولا شك في ان النكتة تدلُّ على خفة روحٍ وتوقُّد ذهن وسرعة خاطر وفطنة غريزية . ولصحفنا الهزلية الاسبوعية طائفةٌ صالحة من النكات المليحة يتناقلها العامة والخاصة

ولقد اوسعت اكبر صحف الغرب مجالاً لهذه اللطائف لانها كثيراً ما تكون في ايجازها أبلغ واشد وقعاً في النفوس من المقالات الضافية يُدبجها فطاحل الكتَّاب فضلاً عما فيها من المفاكهة والمباسطة او الانتقاد المؤلم

* * *

ولقد ساعد قلم المصوِّرين الهزليين المعروفين باسم « كاريكاتوريست » على ابراز هذه النكت بشكلٍ يزيد وقعها في النفس ورونقها في العين . وقد تكون الصورة الهزلية احياناً نكتةً قائمة بنفسها بدون تعليق عليها ولا شرح

والغرض من الصور الهزلية تقرير الحقائق بطريقة لطيفة او تسديد سهام الانتقاد الى بعض العادات او الاشارة الى بعض الحوادث . واساسها المبالغة في اظهار عيوب الخَلْق او الخُلُق وتمثيل الشذوذ للفت النظر الى كل ذلك . ومن براعة واضعي هذه الصور انهم يحفظون فيها شبهاً مميزاً لما يرسمونهُ من الاشخاص او الحوادث يكون بمثابة العلامة الخاصة التي تُساعد على تعرُّف الرسم لاوَّل وهلة . فقد كثرت الصور الهزلية التي تمثل الامبراطور

غليوم مثلاً ولكن لا تكاد تخلو واحدة من شنبين مرتفعين أو خوذة ذات حربة محدَّدة . فتعرف الرسم معها غيَّر الرامُ من اسرَّة الوجه . وقس على ذلك الصور الهزلية التي تمثل الملوك والوزراء وكبار الرجال او التي تشير الى حوادث مختلفة

اما الميل الى التصوير الهزلي فهو غريزيٌّ في الانسان . وكلٌّ منا يذكرُ أنهُ وهو على مقاعد المدرسة كثيراً ما استعمل قلمهُ — حتى قبل ان يحسن الخطَّ — ليرسم احد رفقائهِ او احد اساتذتهِ بطريقة مضحكة وان كانت خالية من كل صنعة كأن يطيل أنفهُ او يوسِّع فمهُ او يُصغِّر عينيهِ او يضع على رأسهِ طربوشاً او قبعةً على شكل معين الى غير ذلك من الالعاب الصبيانية التي ليست بغريبة عن احد

لذلك نرى ان عادة التصوير الهزلي قديمة العهد بين الشعوب . فقد عرفها الاشوريُّون والمصريون واليونان والرومان ولا يزال لدينا بعضٌ من آثارها

وقد نبغ اليونان على الاخص في هذا الفن بين الامم القديمة . وذكر أرسطو في كتاب « السياسة » أنَّ فنون الخيال تنقسم الى ثلاثة اقسام منها ما فيهِ مبالغةٌ الى جانب الخير ومنها ما هو الحقيقة بعينها وهي صورة الامانة المطلقة ومنها ما فيهِ مبالغةٌ الى جانب الشر . وقد شرح هذا الفيلسوف نظريتهُ هذه بذكر المصوِّرين الذين يمثلون الطبيعة أحسن مما هي والذين يمثلونها كما هي والذين يمثلونها أقبح مما هي . وهذه الفئة الاخيرة هي فئة المصوِّرين الانتقاديين او الهزليين . وكثيراً ما صوَّر قدماء اليونان آلهتهم وإلاهاتهم صوراً هي غايةٌ في الترابة والهزء

وشاع هذا الفنُّ ايضاً عند المصريين القدماء . ولا يزال في القسم المصري من متحف « تورينو » بايطاليا قراطيس من البردي تتضمن صوراً هزلية تمثل الاشخاص المعروفين بصور حيوانات او تشير الى الحوادث التاريخية والتقاليد القومية برموز انتقادية مضحكة كاعتقادهم في بعث الاموات ومعاملتهم لأسرى الحرب الى غير ذلك من الامور

وراجت هذه الصور عند الرومان كما يؤخذ من كتابات شيشرون وبلينوس . وكانت تعرف باسم "Comica tabella" اي اللوحات المضحكة . وكثيراً ما عمد اليها المتنازعون على السلطة في اواخر عهد الدولة الرومانية للتشهير بخصومهم ومنازعيهم

وفي كنائس القرون الوسطى صورٌ كثيرة تمثل الزنانية والاباسة والخطايا والشرور وما شابه ذلك بشكل غريب للتأثير في ذهن الناظر اليها

ودخلت الصور الهزلية في القرن الماضي في طور جديد فتناولت موضوعات شتى ونبغ

فيها افرادٌ نالوا شهرة بعيدة ونفوذاً كبيراً . على ان هذه الصور كثيراً ما قادت واضعيها وناشريها الى المحاكم فالسجون وخصوصاً ما كان منها يرمز الى حوادث سياسية او ذات علاقة بالحكومات والقابضين على ازمة الامور . واذا كان الفرنسويون نالوا الاسبقية في التفنن بالتصوير الهزلي فان الانكليز كانوا السابقين الى اطلاق الحرية لمصوّريهم يرسمون ما شاؤوا وكيفما شاؤوا حتى كثيراً ما صوّروا ملوكهم ووزراءهم وكبارهم صوراً انتقادية تنمُّ عن نظر صائب في الامور

ولهذه الصور انصارٌ وخصوم . ولا تخرجُ اقوال الفريقين في هذا الموضوع عمَّا يقال عادةً في إباحة الحرية للصحافة او تقييدها ممَّا لا مجال للتبسُّط فيه

ومهما يكن من الامر فان الغربيين أوسعوا مجالاً فسيحاً للتصوير الهزلي في صحافتهم — حتى الراقية منها — ما عدا النشرات الخاصَّة بهذا الفن دون سواه . والذين يطالعون عندنا صحف الغرب يعرفون الشيء الكثير من ذلك

***

اما في مصر فاذا كانت الصور الهزلية قليلة الشيوع فان الجرائد الهزلية التي تعتمد الى النكتة في الكلام لا في الرسم غير قليلة . نذكر منها : الطائف . والابتسام . والأوغل . والغزالة . والحاره . والفيل . والارنب . والشيطان . والخلاعة . والشجاعة والسيف والمسامير . واذا كانت هذه الجرائد قد طويت صفحة معظمها الآن فان منها ما لاقى رواجاً في عصره لم تلاقه اكبر جرائدنا . وعلى اثر اعلان الدستور صدر في بيروت جريدة من هذا النوع اسمها « خط بالخرج » ولكنها لم تعمّر طويلاً

ويظهر ان الصور الهزلية اخذت تلاقي بعض الاقبال في مصر . فانا لاحظنا منذ مدة في شارع قصر النيل محلاً جديداً كُتب فوق مدخله بحروف كبيرة "Caricature in five minutes" اي صور هزلية في خمس دقائق فالقينا نظرةً على الواجهة فاذا بالصور المعروضة تمثل اشخاصاً من الاجانب النازلين في مصر ولم نشاهد الاَّ الشيء القليل من الصور المصرية

***

ونرى ان نختم هذه المقالة بوصف بعض الصور الهزلية التي كان لها شأنٌ من هذا القبيل نتيجةً لما نشره المقتطف في هذا الباب على سبيل الفكاهة :

رسم احدُ المصوّرين رجلاً سكّيراً وقد لعبت برأسهِ بنتُ الحان فالقتهُ على الحضيض وكتب تحت الصورة عن لسان ذلك الرجل :

« يقولون إنّ كأساً من الخمر تُثبّتُ القدَم وها قد تناولتُ عشرين كأساً وما انا بالقادر على الوقوف ! »

واراد مصوّرٌ ان يهزأ بالذين صرفوا همّهم للعناية بالحيوانات فألّفوا لها الجمعيات ووقفوا عليها الاموال الطائلة فرسم رجلاً امام مخبز يشتري كعكاً لكلبهِ السمين . ورسم الى جانبهِ فقيراً متسوّلاً هازل الجسم يقول لصاحب الكلب « حسنةً يا سيدي اجعلْ لي نصيباً من حنانك على كلبك » والرجل يجيب الفقير « اليك عني ! فليس لهذا الحيوان غيري . اما انتَ فلك جميعُ الناس »

ورسم غيرهُ احد المضاربين في البورصة جالساً يفكّر وهو يقول : « لقد وجدتُ سرّاً للاثراء عاجلاً . فسأشتري كلّ ذنَبٍ معروضة للبيع بما تساوي ثم ابيعها بالثمن الذي يحسّنهُ صاحبها »

ومن الصور المشهورة صورة تتضمن عظةً بليغةً نشرتها احدى الجمعيات العاملة على مقاومة البغاء في فرنسا وهي صورةُ امرأةٍ من بنات الهوى اخنى عليها الدهر — كما يخني على اترابها — فباتت تتكفّف في الشوارع . وقف امامها رجلٌ تقدما بعض درجات قدعت لهُ احسن دعاء وهو : « اسألُ الله ان يقي ابناءك من شرّ بناتي ! »

ونشرت مجلة « بنش » الهزليّة في لندن صورةً نالت شهرةً بعيدةً عنوانها « اصعد للصلاة ! » وفيها اشارةٌ الى حكايةٍ لطيفةٍ متداولة عند القوم تمثّل الذين يتمسكون بظاهر الدين ولا يطبّقون اعمالهم على روحهِ . وخلاصتها ان « بقّالاً » سأل خادمهُ : « هل اضفتَ الى السمن شحماً ؟

— نعم !

— وهل رششت التبغ بالماء كما يريد مولاه ؟

— نعم !

— وهل خلطت دقيق القمح بما يلزم من دقيق الذرة والبطاطس ؟

— نعم ! » الخ

فقال البقال : « حسناً ! فهيّا الى الصلاة ! »

أمّا الصورة التي تشير الى هذه الحكاية فانها تمثّل ملك رومية يقول لوزيره بسخرك :

— هل ضممت « دوقيات الالب » الى بلادنا ؟

— نعم !

— وهل اغتصبت مقاطعة « سس » ؟

— نعم !

— وهل نجحت في الاعتداء على حقوق جارنا ملك « هانوفر » ؟

— نعم . تمّ كلّ ذلك باذن الله ! »

— فاصعد إذن للصلاة يا خادمي الامين »

وكان احد الملوك قد ادّعى انّ لهُ وحدهُ حقّ وضع الضرائب وتقريرها وليس لنوّاب الشعب إلاّ إبداء الرأي في كيفية جبايتها فتناول احد المصوّرين الهزليين هذا الموضوع فصوّر ذلاّحاً بين طيور الداجنة وهو يقول : « بأيّ نوع من المرق تريدون ان تؤكلوا ؟ » فانبرى لهُ ديك وقال « قبل كلّ شيء نحن لا نريد ان نؤكل » فاجاب الفلاّح متململاً « لا تخرجوا عن الموضوع . نحن لا نبحث فيما اذا كنتم تريدون ان تؤكلوا ام لا . بل في نوع المرق الذي تحبون ان تطبخوا فيه . »

وكثيراً ما وردت هذه الصور لتقرير الحقائق او للانتقاد على السنة الحيوانات . نذكر من ذلك صورتين :

الاولى تمثّل كلبين — كلباً اسود وكلباً ابيض — والواحد يستنجد الآخر وهذا يجيبهُ : لا تخف يا اخي فاذا كنتَ اسود وانا ابيض فما خرجنا عن كوننا كلبين . الانسان وحدهُ — ذلك الحيوان الطاقن — يجعل ميزةً للالوان . اما نحن معشر الحيوانات غير الناطقة فلا نعرف هذا الفرق ! »

والثانية تمثّل ذئاباً تنهش خروفاً واحدها يقول « يسمّينا الانسان وحوشاً لاننا ناكل اللحم نيئاً وهو يأكلهُ مطبوخاً . ولعمر الحق ليس الفرق بكبير »

ولم تخلُ النساء من سهام مصوّرين الهزليين . فقد صوّر بعضهم رجلاً حمل امرأتهُ على كتفيه وقد خيط على ثوبها ورقةٌ كتب فيها « المطلوب لعلان ثمن القشة ومخرّمات ٢٠٠٠ فرنك » وورقة أخرى كُتب فيها « المطلوب للخياطة ٠٠٠ فرنك » الخ . وقد تاه الرجل بحملهِ وهو يقول « انّ المرأة الخفيفة ثقيلة جدّاً » . ولا يخفى ما في ذلك من التلاعب في معنى الخفيف الحمل والخفيف العقل

ومن هذا القبيل صورة تمثل اثنين من الحفّارين الذين يتولون دفن الموتى وهما

يتحدثان قرب قبر امرأة عرفت في حياتها بالنطيش واللهو واحدهما يقول : سمعت ان المرحومة كانت « خفيفة » فاجاب الثاني : والله لو كان الذين يشيعون عنها ذلك قد حاولوا نقلها من عربة الموتى مثلنا لغيّروا رأيهم فيها »

ولما كانت الحرب اليوم الشغل الشاغل للجميع فقد اصبحت هي ورجالها ووقائعها اكبر موضوع لتبارى فيه قرائح المصورين المزليين . وها نحن ذاكرون بعض الشيء من ذلك

عرف القراء ان المانيا في اشد حاجة الى النحاس . وقد بينت احدى المجلات المصورة هذه الحاجة بشكل لطيف فصورت في معسكر الالمان بعض اسرى الهنود الاميركيين — بلونهم الاحمر « النحاسي » المعروف — وصورت امامهم ضابطاً المانياً يقول لاحد اتباعه : « يجب ان تضعوا هؤلاء الاسرى على النار وتحللوا اجسامهم لعلنا نستخرج منها شيئاً من النحاس الذي يعوض حاجتنا الى هذا المعدن »

وقد ابلى عساكر « الزواف » الفرنسويون بلاء حسناً في القتال فنشرت احدى الصحف صورة جندي منهم وقد شواه الالمان لياكلوه فردا احد الآكلين قد وجد الى جنب الجندي سيفه فقال لرفقائه « ان هذه السمكة لا تخلو من حسك قد يكون والله نجّى في حلوقنا » . وهذه النكتة تذكرنا قول امرىء القيس :

أبتناي والمشرفيّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب اغوالِ

انبأتنا الصحف كيفية معيشة الجنود في الخنادق وطرقهم في الدفاع والقتال . وقد صوّرت احدى الصحف — على اثر افتتاح مجلس النواب في باريس — جنوداً من الفرنسويين يسيرون زحفاً على بطونهم واحدهم يقول لرفقائه : بينما نحن زاحفون على بطوننا الآن يتبجح خطباؤنا من اعلى المنبر في المجلس قائلين اننا كنا « واقفون » للدفاع عن الوطن

وصورت جريدة اخرى جندياً خلع جوربيه ووضع قدميه في الماء الراكد في خندق فقال له جندي آخر اغسل رجليك في الماء الذي تشربه فاجابه كلا بل انا عازم ان اشتم فيه

ظلت احدى الدول مدة ساكتة خطة التردد والتقلب فتارة تفاوض الالمان والنمسويين في بقائها على الحياد وتارة تباحث الحلفاء في ما تناله من الغنم مقابل خوضها غمرات القتال حتى سئم الناس الانتظار وملوا هذه السياسة — سياسة إمساك الحبل من الطرفين . فتناول احد المصورين المزليين هذا الموضوع ورمز الى الدولة المعنية بفتاة حسناء وقد مدّت يدها الواحدة الى الالمان والثانية الى الحلفاء وكتب تحت الصورة آية الانجيل : « لا تعرّف شمالك ما تفعل يمينك »

نسب الكثيرون الى عليوم الثاني الرغبة الشديدة في التشبُّه بنابوليون الكبير فاتحاً وغازياً دون الوصول الى مقامهِ . فاخذت احدى الصحف المزلية هذه الفكرة وصورت امبراطور الالمان لابساً قبعة نابوليون المعروفة وقد نزلت الى تحت أذنيهِ وهو يقول لمستشارهِ الواقف بقربهِ :

— « اظنُّ ان هذه القبعة كبيرة على رأسي » والمستشار يجيب :

— « بل اظنُّ ان رأس جلالتك صغيرٌ على هذه القبعة ... ! »

والنكات من هذا القبيل كثيرةٌ لا تحصى نكتفي منها بما ذكرنا ونتمنَّى على صحفنا ومجلاتنا الكبيرة ان تفسح في صفحاتها مجالاً لهذا النوع من النقد فانهُ يتضمَّن الجدَّ في معرض الهزل وكثيراً ما يجمع العظة والعبرة الى الفكاهة والنكتة

القاهرة انطون الجميّل

مصر منذ تسعين سنة

(١٢)

حادثة غريبة

بقي الارمني ملازماً الجارية زينب يروي لها القصص والحكايات وكان بين البحرية بحريٌّ تركي من الاناضول يدعى « حاجي » لحيتهُ حمراء طويلة يجلس مع الارمني ويكلم الجارية من حين لآخر فسألت هذا عن موضوع حديث التركي معها فقال انهُ يعلمها فروض الدين والصلاة وانهُ من المتدينين حجَّ مراراً الى مكة . فلم أرَ بأساً من ان تتعلم فروض دينها واخيراً سمعت هذا الحاج يكرر في حديثهِ كلمتي مسلم ونصراني فسألت الارمني عن ذلك فأجاب : يقول لها انهُ لا يجوز ان يشتري رجل مسيحي امرأة مسلمة . قلت ولكن ذلك جائز في مصر وكل الافرنج والمسيحيين يقتنون العبيد والجواري . قال نعم يجوز لهم (حسب قولهِ) ان يشتروا الحبشيات المسيحيات والزنجيات الوثنيات لا المسلمات

فاستأت من ذلك وخشيت من نتيجة هذا الحديث فرجوت اقلق راحتي وعيشتي مع جاريتي فلم اشأ ان يعبث هذا التركي بمزاجها ويثير فيها ثائرة العناد والعصيان فذهبت الى القبطان وشكوت اليهِ أمري ورجوت ان يمنع هذا البحري من الكلام مع الجارية . فقال لي لا سبيل الى منعهِ ولكن في وسعك ان تمنع جاريتك عن الكلام معهُ فذهبت الى الجارية وانهمتها

بواسطة الارمني اني امنعها عن الاختلاط مع هذا البحري والكلام معهُ فاظهرت العبوسة والكدر ولم تنطق ببنت شفة

(ثم حدث خصام شديد على اثر ذلك بين دي نرفال والحاج بسبب الجارية وتداخل بعض النوتية في الخصام وكاد يفضي الامر الى ما لا تحمد عقباهُ واخيراً اضطرَّ دي نرفال ان يظهر لهم كتاب توصية من الصدارة العظمى في الاستانة بواسطة الكونت دي رانفيل سفير فرنسا الى محمد رشيد باشا والي ايالة عكاء . فدفعهُ الى الارمني ليقرأهُ على مسمع منهم وتهددهم بالشكوى عند وصوله الى عكاء . فاعترتهم الرعدة والخوف وحنوا رؤوسهم احتراماً عند قراءة كتاب التوصية وهو عندهم بمثابة فرمان وطلبوا منهُ الصفح فصفح عنهم وانتهت المشكلة بذلك)

وفي اليوم التالي رسا بنا المركب عند اسكلة عكاء فظهرت لنا من ورائها جبال فلسطين النضرة الخضراء فمن شهور كثيرة لم تقع عيني الأعلى جبال مصر القاحلة الجرداء وكانت جبل الكرمل امامنا وعلى قمتهِ الدير المشهور بهذا الاسم تحيط بهِ الحراج الخصبة والاشجار والمروج الخضراء . وعند سفحهِ بلدة حيفا وبيوتها منضدة بعضها فوق بعض كالامفيتياتر وهبت حينئذٍ الرياح الشمالية المنعشة للابدان المنطفة لحرارة الشمس . وبين عكاء وحيفاء خليج كقوس او كنصف دائرة والمدينتان قائمتان عند طرفي القوس

فلما رسا بنا المركب اتى رجال الصحة وفحصوا جوازهُ واوراقهُ (الباطنطا) فعلموا اننا اتينا من بلاد موبوءة بالطاعون فمنعونا من الصعود الى البر والاختلاط باحد غيرانهم اجازوا لنا ان نملأ براميلنا من الماء ونشتري ما نحتاج اليهِ من المأكولات والفاكهة . فدنت منا بعض القوارب واشترينا من بجازتها الخبز والجبن والبطيخ والرمان وغيرها من الاثمار فكانوا يضعونها في سلال ندليها اليهم ونضع الدراهم في اوعية ملآنة من الخل حتى تطهر من الوباء على زعمهم ثم يأخذونها . والنقود التي كانت معنا من مصر غازيات ذهب وغروش وبارات ومصريات (نحاسات) وكنت اود ان ادخل الى المدينة لاتفرج عليها واقابل سعادة محمد رشيد باشا واليها واعطيهُ كتاب التوصية الذي معي من احد رجال الصدارة في الاستانة واطلب منهُ كتب توصية الى حكام الاساكل السورية التي سأزورها (كانت وقتئذٍ مدن صور وصيدا وبيروت وطرابلس تابعة لولاية عكاء) اذ ان قوانين الكورنتينا صارمة مشددة فاضطررت ان احفظ الكتاب معي حتى وصولي الى بيروت

وعكاء هي بتولوماييس اليونانية ومقر حكم محمد باشا الجزار الشهير بمظالمهِ ومجازرهِ

البشرية . والمعارك الدموية التي حدثت بينهُ وبين نابوليون بونابرت عند حصارها غير بعيدة عن الاذهان

وفي عصاري ذلك اليوم اقلع بنا المركب من خليج عكاء وكانت الريح موافقة ونحن في فرح وجذل كاننا في يوم عيد لان الماء كثير عندنا والمأكولات والفاكهة جزيلة ووزع القبطان على رجاله الخمر فجعلوا يرقصون ويغنون وتناول قيثارتهُ يعزف بها وغلامهُ يغني يا حبيبي يا عيني يا محبوبي يا سيدي . وكذلك الجارية اشتركت معنا في الفرح واما الارمني فعاد الى اغنيته التركية « بلير بلير استنبولون فرمان . محمود غازي جمبولندة علي عثمان » وكان البحر صافياً رائقاً والجو صحواً والمركب سائراً مقابل شواطئ سليسيريا (اي سوريا المتوسطة بين عكاء وبيروت) التي تمتد جبالها الخضراء من الكرمل الى ان تتصل عند صيداء بجبل لبنان

وبعد مسير ست ساعات وصلنا الى مدينة صور عاصمة فينيقية القديمة التي خربها الاسكندر بعد ان حاصرها حصاراً طويلاً ولم يتمكن من الاستيلاء عليها الاَّ بعد ثلاث سنين وبعد ان وصل الجزيرة المبنية عليها بالبر . ولم يبقَ الآن من هذه المدينة العظيمة الاَّ بيوت صغيرة لصيادي السمك

وبعد خمس ساعات وصلنا الى صيداء صيدون القديمة فظهرت لنا حينئذٍ جبال لبنان الشاهقة بغاباتها النضرة وقراها الكثيرة العامرة موطن الدروز . وصيداء قائمة عند رأس بارز لها مرفأ قديم من آثار الفينيقيين لم يزل بعض حجارته الضخمة المربعة باقياً رغماً عن تلاعب امواج البحر بها مدة الوف من السنين . وهذه المدينة صغيرة الاَّ ان ضواحيها زاهية زاهرة بالبساتين والرياض المغروسة بالليمون والبرتقال والموز والرمان . ولما كان لا يسمح لنا بالنزول اليها فمن العبث اضاعة الوقت بالوقوف فيها . وكنت اود ان اتفرج على هذه المدينة الشهيرة مهبط البحار قديماً وعاصمة حضارة الفينيقيين ومهد التجارة والصناعة . وكانت معاملها كثيرة مشهورة بنسج الاقمشة وصبغ الارجوان وعمل الزجاج وغير ذلك حتى ان هوميروس الشاعر اليوناني خصها بالذكر في قصيدتهِ الالياذة دون باقي المدن الفينيقية وقال ان مصوغات التروادين من صنع الصيدونيين . ولقد صدقت كل انباء التوراة عنها بانها ستصير خراباً وبيوتها منشراً لشباك الصيادين

وبعد ست ساعات اخرى وصلنا الى رأس بيروت . وهذه المدينة على شاطئ البحر عند جون صغير يحيطها من البر سور متخرب ولم تزل بعض جدرانهِ من الجهة الشرقية باقية

وبيوتها حقيرة وشوارعها ضيقة عدا سراي الحكومة التي هي جزء من قصر الامير فخر الدين المعني وبعض دور القناصل ورايات دولهم تخفق فوقها . ووراء السور المدينة الحديثة عند سفح جبل لبنان في منبسط متسع من الارض وبيوتها بيضاء مكللة متفرقة بين اشجار التوت والتين كأنها مقاصف في وسط الحدائق . ومنظر بيروت من المرفا من ابدع المناظر تظللها من ورائها تلال واكام خضراء زاهرة وغياض زاهية وقرى عامرة تمتد الى رأس البترون وفوقها جبل لبنان بحقوله الخصبة وارزه المشهور وقراه وضياعه ووديانه وكنائسه الكثيرة متفرقة على جوانبه من اسفله الى اعلاه ووراءه تظهر قمة جبل صنين الشامخة المكللة بالثلوج وكل هذه المناظر تظهر للرائي من المرفا . وبيروت بموقعها هذا بين البحر ولبنان ومناظرها البديعة كانها مدينة من مدن سويسرا بين جبال الالب البيضاء وبحيرة جنيف الصافية

وخارج سور المدينة ميدان واسع في وسطه برج عالٍ مربع الشكل من بناء الامير فخر الدين الشهير (هو برج الكشاف وقد هدم الآن واما الامير فخر الدين المعني فهو الذي استقل بحكم ولاية بيروت ولبنان)

ومن جهتها الجنوبية صحراء رملية كبيرة غرس فيها هذا الامير غابة كثيفة من شجر الصنوبر لتقي المدينة من تيار الرمال

رسا بنا المركب عند الحجر الصحي . وهو بناء واسع قائم على صخور او جزيرة صغيرة منفصلة عن البر يقال لها الكورنتينا وتخفق فوقها الراية الصفراء . فانتظرنا بضع ساعات الى ان حضر الناظر وهو رجل تركي وبعد ان فحص جواز مركبنا ونوتيته وظهر لديه ان صحتنا جيدة أجاز لنا الصعود الى البر لنقيم مدة اربعين يوماً تحت الحجر الصحي . ثم وضعنا في القسم المخصص للاوربيين مع جاريتي والشاب الارمني واما القبطان وبحارته فأجيز لهم قضاء مدة الحجر في المركب تحت حراسة رجال الصحة . وكان الناظر رجلاً عاقلاً اديباً كريم الخلق عاملنا بالتؤدة واللطف . فوجدنا في اسرنا هذا من وسائل الراحة ما جعلنا ننسى مشقة السفر واجاز لنا التمشي في الميدان والنزهة عند شاطئ البحر والاستحمام فيه تحت مراقبة الحراس وسمح لنا بالنزهة في حديقة الكورنتينا . وكان الاكل يقدم لكل من المحجر بثمن يومي معلوم وهو مؤلف من قصعة من العدس وقليل من البيض والجبن الاّ انهُ كان يسمح لنا ان نشتري من فلاحي لبنان ما يأتوننا به من الحليب والفاكهة والدجاج والخمر واثمانها زهيدة جداً فكنا نشتري الليرة (الرطل) من الضأن بخمسة وعشرين سنتيماً (نحو غرش صاغ)

والزجاجة السمينة بنصف فرنك والعشر البيضات بعشرين بارة واقة العنب او التين بخمس وعشرين بارة (نحو نصف غرش مصري) . وزجاجة الخمر الفاخر الذهبي اللون المصنوع في اديرة جبل لبنان بعشرين بارة . وكان بعض الاروام يأتينا بالخمر القبرصي ويبيعنا الزجاجة منهُ بنصف فرنك الاَّ انا عدلنا عنهُ الى الخمر اللبناني ذي النكهة والطعم المستطاب ويشبه خمر الماديرا عندنا

بين بيروت ولبنان

ولما انقضت مدة الحجر الصحي خرجنا من الكورنتينا . وقد وفقت الى استئجار منزل خصوصي على بعد نصف ساعة من المدينة عند اسرة مسيحية مارونية وكل المساكن في هذه الضواحي مبنية داخل بساتين التوت والتين . والبيت الذي استأجرتهُ مؤلف من طبقتين فالعليا لي ولحاريتي والسفلى لسكن اصحاب البيت . والبيت مطل على البحر من الجهة الشمالية والغربية على طول الخليج من ميناء البلد الى الحجر الصحي قائم بالقرب من صخور تتلاطم عليها امواج البحر (يؤخذ من هذا الوصف ان البيت كان في حي المدوَّر او في حي الجميزة الآن) وكنا نجتمع مساء مع اهل البيت حول مصطبة مكشوفة من جهاتها الثلاث على البحر وهي بمثابة شرفة كبيرة (فراندا) . والاسرة التي سكنت عندها مؤلفة من رجل جاوز الاربعين مهنتهُ الخياطة ولهُ دكان في سوق المدينة . ومن زوجة وشقيقة لها وبنتين وابن . وقد رأيت من حسن اخلاقهم ورقة جانبهم وآدابهم ما سرني ولو كانوا من طبقة متوسطة في المعيشة ومعظم سكان ضواحي بيروت من السهول الى النهر هم في الاصل من لبنان . واكثر نسائهم جميلات يخرجن بلا قناع سوى منديل رقيق يضعنهُ على رؤوسهنَّ وشال من القطن الملون على اكتافهنَّ على زي النساء القرويات في ايطاليا

وكنت اترصد مرورهنَّ وهنَّ ذاهبات لاستقاء الماء من آبار الصهاريج وعلى رؤوسهنَّ الجرار يخطرن في سيرهنَّ دلالاً . واما نساء الاسر الوجيهة فيجمعن شعورهنَّ فوق رؤوسهنَّ كتاج ويضعن عليهِ طاسة من نحاس او فضة حسب مقدرتهنَّ المالية فوقها غطاء من شاش رقيق . ونساء الامراء في جبل لبنان يضعن على رؤوسهنَّ اسطوانات طويلة من الفضة على شكل البوق يقال لها عندهنَّ الطرطور ويضعن فوقها غطاء من قماش رقيق تتدلى اطرافهُ على اكتافهنَّ وهذا الزي كان شائعاً عندنا منذ القرون المتوسطة ولم يبطل الاَّ في اواسط القرن الماضي

وقد استأنست جاريتي باهل البيت فكانت في اثناء غيابي تنزل اليهم وتحدث معهم وكثيراً ما كانوا يخدمونها وهي جالسة بخيلاء على الطنفسة كانها من « الهوانم » وارق منهم طبقة . وكنت اتركها عندهم مطمئناً على راحتها واذهب الى المدينة او دار القنصل اسأل عن البريد وكنت منتظراً الرسائل والدراهم من اهلي واصبحت في ضيق وحيرة لعدم وصولها وكنت قد طلبتها حينما كنت في مصر لاستعين بها على اتمام سياحتي في جبل لبنان

وحدث لي اثناء اقامتي في بيروت حادث غريب مضحك لم اكن اتوقعهُ . وذلك اني صحوت في صباح احد الايام متأخراً قرب الظهيرة فرأيت فوق رأسي شخصاً طويلاً بثياب سوداء وفي يدهِ كتاب فقال لي باللغة الفرنسوية كيف حالك يا ولدي . فقلت لهُ بخير والحمد لله ولكن المعذرة . . اسمح لي ان انهض والبس ثيابي . فوضع يدهُ على كتفي وقال لا لا ارجوك ان لا تتحرك لا تزعج نفسك . لقد دنت الساعة الاخيرة . فقلت لهُ بدهشة — الساعة الاخيرة ؟ واي ساعة تعني ؟ فقال الساعة التي ستلاقي فيها ربك وتستغفرهُ بالتوبة والندامة عما اسأت اليهِ في حياتك بارتكابك الاوزار والمعاصي . فحدقت فيهِ بدهشة واستغراب وظننت انهُ لا بد ان يكون معتوهاً فقلت لهُ . لا افهم ما تقول وما تقصد من هذا الكلام . قال اريد ان اقبل اعترافك واشهد على وصيتك الاخيرة . فصرخت بغضب فمن انت ايها الرجل فاجاب انا الاب بلانشيت . قلت لقد زدتني غرضاً . قال من الرهبانية اليسوعية فقد حضر بعضهم الى الدير وقال لي ان سائحاً اميركياً غنياً مقيماً عند اسرة مارونية في هذا الحي اشتد عليهِ المرض واشرف على الموت ويريد ان يعترف ويقبل الاسرار ويكتب وصيتهُ الاخيرة . وربما خصص جزءاً من ثروته بديرنا هنا فان الكنيسة صغيرة والمدرسة حقيرة والدير يحتاج الى التوسيع والاصلاح ولما وصلت الى هنا قيل لي ان في هذا البيت سائحاً افرنجياً فادخلوني عليك

فقهقهت ضحكاً عند ما عرفت هذا الخطأ وقلت لهُ اعلم اولاً يا حضرة الاب اني لست اميركياً غنياً . ثانياً ليست لي صلة او اختلاط باحد من جمعيتكم وتختلف عقائدي عن عقائدكم الدينية اختلافاً عظيماً . ثالثاً اني صحيح الجسم فلست مريضاً ولا مشرفاً على الموت وان كنت غير مصدق فانظر

قلت هذا وقفزت بسرعة من السرير الى الارض ففحك الاب بلانشيت وخرج ودقق البحث عن هذه الحادثة وعلم ان في منزل قريب من منزلي سائحاً اميركياً مريضاً

فرجع واعلمني بالحقيقة واعتذر عن خطاهُ . ولما رأيتهُ على جانب من اللطف ولين العريكة عرفتهُ بنفسي وسألتهُ ان يزورني كلما سمحت لهُ الفرصة اذ ليس لي صديق في هذه المدينة أستأنس بهِ

ولما زارني المرة الثانية رأى الجارية وسألني عنها فقصصت عليهِ قصتي وما جرى لي بمصر وكيف اضطررت الى شرائها . فقال لي لقد اسأت كثيراً الى هذه المرأة لانك لا تقدر ان تصحبها معك الى فرنسا كجارية مشتراة ولا اظن انك تحب الاقتران بها . فكان يجب عليك ان تتركها في بلادها فربما وجدت هناك زوجاً يصلح لها او سيداً من جنسها تخدمهُ في منزلهِ ففي الحالتين تجد لها مأوى شريفاً تقضي فيهِ حياتها . اما اذا تركتها هنا او في فرنسا حرة وفي غربة وحيدة فكأنك تدفعها بيدك في بؤرة الشرور والفساد فانظر ما انت فاعل يا سيو دي نرفال

فلما رأيت ما قالهُ هذا الاب صواباً جليت الكرة فيما اصنع وعوامل الحيرة تتجاذبني فقال لي لا تزعج نفسك كثيراً سأجد حلاً لهذه المشكلة . ففي هذه المدينة سيدات صالحات يدرن مدرسة للبنات اليتامى الفقيرات فتي وصي ان اضعها عندهن باجرة زهيدة مقابل نفقاتها وبذلك تجد مأوى شريفاً ويصان مستقبلها . فقلت لهُ لا بأس وانما لا اريد ان ترغم على اعتقال الدين المسيحي وعدا ذلك فهي غيورة على دينها متمسكة بعقائدها اشد التمسك . فهز راسهُ وتبسم ثم التفت نحو الجارية وبدأ يكلمها بلغتها العربية

وبعد بضعة ايام ذهبت وزرت هذا اليسوعي في ديرهِ عند باب بيروت الشرقي قرب برج فخر الدين . وهذا الدير صغير مبني في فناء واسع والكنيسة صغيرة ملاصقة للمدرسة فوقها معشى لغرف الرهبان . فادخلني الى غرفتهِ وطال بنا الحديث عمن زار سوريا من الفرنسويين واخصهم دي لامارتين وقال لي انهُ من اخص اصدقائهِ وغواة اشعارهِ والمولعين بمطالعة كتبهِ . ثم شكا مضايقة الحكومة التركية لهُ اذ لم تسمح لهُ بتوسيع البناء وتشييد غرف لمدرسهِ بعد ان بنى جزءًا من الطبقة العليا ووضع درجات السلم الرخامي منعتهُ الحكومة عن اتمام العمل لا بل حظرت عليهِ ان يضع جرساً فوق الكنيسة فوضع بدلاً منهُ حديدة مسلطة بحبل يقرع عليها بالشاكوش

ثم دار الحديث على الجارية فاشار عليَّ الناصح بان اضعها عند راهبات المحبة حيث تعيش براحة وهناء بعيدة عن الاخطار فاذعنت لمشورتهِ وخصوصاً لكوني عزمت على التجول في جبل لبنان ويسر عليَّ ان اصحبها معي

وفي صباح اليوم التالي صحوت من النوم على صوت الجارية وهي واقفة عند النافذة المطلة على الطريق تصرخ بملء صوتها « بندقية بندقية درزي درزي » فنهضت ورأيت طابوراً من الجنود التركية مارة من هناك وهم مسلحون بالبنادق . وفي اليوم نفسه ذهبت الى المدينة وعلمت الحقيقة وهي ان الدروز في جبل لبنان والعداء بينهم وبين المسيحيين قديم العهد حرقوا قرية مسيحية تدعى بيت مري وهي على بعد ساعتين من بيروت فارسلت الحكومة طابوراً من جنودها ليقسموا الفتنة بين الفريقين والحقيقة انها ارسلتهم لمساعدة الدروز اذا تغلب المسيحيون عليهم

وبعد بضعة ايام بينما كنت في المدينة ورجعت قيل لي ان احد امراء لبنان حضر لقضاء اشغال له وزار الاسرة التي اسكن في منزلها ولما علم ان سائحاً فرنسوياً مقيم في المنزل انتظرني مؤملاً ان يراني ويتعرف بي . ولما تأخرت وضع اسلحته في البيت دلالة على الاستئمان وذهب . وفي صباح الغد استيقظت على صليل اسلحة فنهضت مذعوراً واذا بالامير مقبل مع ستة من الفرسان اتباعه وكلهم بالثياب الفاخرة ومتقلدون البنادق وفي اوساطهم الخناجر المفضضة المقابض . وتم التعارف بيني وبين هذا الامير وهو من آل شهاب الاسرة الحاكمة في الجبل ودعاني ان ازوره في بلدته وهي على بعد بضع ساعات من المدينة

ولما رأيت ان لا سبيل الى ابقاء الجارية عندي بعد ان عزمت ان أسير في جبل لبنان اخذتها ووضعتها عند سيدة فرنسوية تدعى مدام كارليس عرفني بها الاب بلانشيت وهي صاحبة مدرسة للبنات فرأيت في هذه السيدة كثيراً من اللطف والدعة وسمو الاخلاق مما جعلني ارتاح الى وضع الجارية عندها ولم تطلب مني سوى ثلاثة غروش في اليوم مقابل قوتها ونفقاتها . وبعد يومين زرت زينب ورأيتها مسرورة في معيشتها فاخذت مدام كارليس ناحية واوصيتها ان لا تبحث معها في الدين وان لا تضطرها الى اعتناق المسيحية

الدروز والموارنة

دخلت مرة الى المدينة وعند رجوعي كان وقت الظهيرة فمررت في طريقي بسراي الحكومة عند البوابة الشمالية فرأيت الناس كلهم نيام فالجمال وحملة والحمار وحماره والحمال وحملة كلهم ممددون على الارض في القيلولة حتى صاحب الدكان تراه نائماً في دكانه وهذه القيلولة شائعة في مصر وسوريا عموماً وكل بلاد الشرق واما في اوربا فغير مستعملة الا من اهل ايطاليا حيث مناخ البلاد واشتداد الحر يقضي عليهم باستعمالها

واما سراي الحكومة فهي قسم من سراي فخر الدين القديمة وقد جعلت واجهاتها كشكات من زجاج كابنية الاستانة وارض السراي وغرفها كلها مرصوفة بالرخام المرمري واركانها الشمالية ملاصقة لبوابة المدينة وهناك نبع ماء تظللهُ شجرة جميز كبيرة

دخلت يوماً الى فندق باتيستا وهو الفندق الاوربي الوحيد في بيروت بالقرب من الميناء تطل شرفاتهُ على البحر وكنت الصدهُ للغداء من حين لاخر لان نفسي عافت المأكولات الشرقية . وكان في هذا الفندق مرسل انكليزي مع زوجتهِ وشقيقتها . وهؤلاء المرسلون لا يخطون خطوة من بلادهم الاَّ مع عائلاتهم وحصل التعارف بيني وبينهُ بواسطة السنيور باتيستا . وبينما كنا على المائدة تجاذب اطراف الحديث حدا بنا الكلام على احوال الجبل واهلهِ وسياستهِ وعن فتنة بيت مري . وكان قد قضى في الجبل نحواً من ستة شهور وطاف في اكثر مقاطعات الشوف لتعليم والتبشير كما قال لي . وكنت اعلم قبلاً ان الانكليز معروفون بميلهم الى الدروز وتعضيدهم وحمايتهم كما ان الفرنسويين يعضدون الموارنة ويحمونهم ولذلك كانت القلاقل والفتن بين الشعبين مستمرة على الدوام . فسألتهُ عن حادثة بيت مري الاخيرة لاستطلع رأيهُ فاجاب — انتهت هذه الحادثة بسلام او بالحري خمدت نارها تحت الرماد . وقد كنت في مقاطعة بكفيا في الاسبوع الماضي . فسألتهُ وماذا فعلت هناك

اجاب بشرت الاهالي بالصلح والسلام . وللانكليز في الجبل اصدقاء كثيرون . قلت ان اصدقاءكم على ما اظن هم الدروز . فهز راسهُ وقال نعم نعم مساكين هؤلاء القوم فالموارنة اكثر منهم عدداً والسلطة المدنية والدينية في ايديهم فيجرفون قراهم ويقتلونهم ويتلفون مزروعاتهم ويقطعون اشجارهم

قلت ولكن الشائع عندنا في فرنسا عكس ما تقول فالدروز هم المعتدون والموارنة المظلومون اجاب بتأوه وتنهد

آه آه الدروز هم المعتدون ؟ .. مساكين هؤلاء القوم كلهم سذج لا يعرفون الشر ورعاياكم يدفعون الموارنة الى الاعتداء على مواطنيهم ولكن كن واثقاً ان انكلترا لا تخلي قط عن حماية هؤلاء المظلومين

سراي بيروت

وفي احد الايام دخلت المدينة للتفرج على سراي الحكومة فرأيت في صحنها الداخلي

جمعاً من الناس وقوفاً وهم بثياب فاخرة عليهم ملامح الوجاهة . فوددت لو اعرف احداً اسألهُ عن هؤلاء القوم وغرضهم . واذ ذاك سمعت صوتاً يناديني باسمي « يا مسيو دي نرفال » فالتفت ورأيت من وراء الكشك الداخلي الشاب الارمني الذي صحبني في المركب من دمياط . ثم اقبل يصافحني بتودد وانعطاف فتفرست فيهِ واذا هو بشكل نظيف وثياب فاخرة على زي موظفي الحكومة التركية وفي وسطهِ بدلاً من الدواة النحاسية دواة فضية بديعة الصنع ورأيت في يدهِ اوراقاً وكتباً وكراريس . وقال انهُ توصل لخدمة الباشا حاكم بيروت بواسطة احد مواطنيهِ الارمن الموظف عندهُ بصفة كاتب سرو فعينهُ الباشا ترجماناً . . . يا للغرابة من احوال الشرق كان هذا الشاب منذ بضعة اسابيع فقيراً صعلوكاً متشرداً بثياب زرية لا يملك سوى دواتهِ والآن اصبح ترجمان الباشا ولهُ لقب « افندي »

فتحادثنا برهة وسألتهُ عن اولئك القوم الغرباء الجالسين في قاعة السراي فقال هم امراء ومشايخ الجبل النصارى جاؤوا يشكون الدروز ويطلبون من الحكومة ان تمنع تعديهم عليهم . فعلى زعمهم ان الدروز تعدوا على املاكهم وكادوا انتقوا باحد منهم منفرداً فتكوا بهِ . وفي الغد ربما يحضر مشايخ الدروز ايضاً ويشكون النصارى . فقلت وماذا سيجيب الباشا قال سيرضيهم ويعدهم بالاقتصاص من الدروز كما انهُ سيرضي الدروز غداً ويعدهم بالاقتصاص من المسيحيين . فقلت ان الحكومة اذاً هي العاملة على التفريق بين الطائفتين . فتبسم وقال نعم وربما كان لاختلاف فرنسا مع انكلترا يد في ذلك

ثم سألتهُ عن الكتب والاوراق التي بيدهِ فناولني بعض تقارير بالفرنسوية احدها من قنصل فرنسا بدمشق عن بعض حوادث بين النصارى واليهود . وكتاب روح الشرائع لمونتسكيو ومجلة شهرية فرنسوية وقال لي ان الباشا امرهُ بان يترجمها الى اللغة التركية . قلت وما غرضهُ من ترجمة كتاب روح الشرائع وهو كتاب فلسفي فقال ان الباشا مهتم بتأليف فرقة « جاندرمة » او بوليس لحفظ الامن وخيل لهُ ان كتاب روح الشرائع يحتوي على القوانين المدنية والجنائية ونظام البوليس . فقهقهت ضحكاً وقلت ليريد الباشا ان يستخرج قوانين البلاد واحكامها من هذا الكتاب

ثم ودعت الشاب ودعوتهُ لان يزورني في منزلي وخرجت من هنالك وجلت في اسواق المدينة وكلها ضيقة مسقوفة على مثال اسواق بلاد الشرق قد تخرقها اشعة الشمس فاشتريت بعض اقمشة حريرية من صنع دمشق وكوفية وعقالاً على زي البدو ووقفت عند احد باعة المشروبات المثلجة وهم يتفننون في صنعها واتقانها ويأتون بالثلج من اعالي جبل صنين . ومررت

بجامع المدينة الكبير وكان قبل الفتح كنيسة يونانية ولما استولى الصليبيون على بيروت اعادوهُ كنيسة كما كان ودفنوا فيها امير مقاطعة بريتاني الفرنسوية من امراء الصليبيين ولم يزل قبرهُ ظاهراً في صحن الجامع

ثم خرجت من السوق وذهبت الى الميناء وهناك دكاكين التجار الافرنج واكثرهم ايطاليون ومرسيليون وبالقرب منها حارة الارواميين وكلهم هناك يقالون وخمارون واصحاب قهوات وخرجت من الميناء واتبعت شاطئ البحر الى ان وصلت الى رأس بيروت وكانت الشمس قد مالت الى المغيب وانتشرت اشعتها الذهبية على مرآة البحر الصافية ورأيت هناك جمعاً من الغلمان والبنات الصغار يستحمون في برك بين الصخور وعلى ما ظهر لي أن تلك البرك قديمة منحوتة في الصخر على اشكال مختلفة بين مربعة ومستديرة وقعرها مبلط بالرخام

ثم خرجت من المدينة من احدى بوابات بيروت وهناك بعض اعمدة قديمة من الغرانيت الاحمر ملقاة على الارض وعلى ما يقال ان ميدان الالعاب الذي انشأهُ الملك هيرودس اغريباس كان هناك

الخاتمة

(بعد ان زار السائح الامير اللبناني في بلدته ومكث عندهُ يومين رجع الى بيروت فوجد رسائل من اهلهِ وذويهِ تستدعيهِ الى بلادهِ فترك الجارية في مدرسة مدام كارليس بعد ان اوصاها بالعناية بها ودفع لها مبلغاً من المال لنفقاتها . ثم ابحر راجعاً الى فرنسا وهناك ابتدأ ينشر رواياتهِ واشعارهُ وسياحاتهِ وكان يحرر في جريدة «لابريس» بالاشتراك مع نخبة الكاتب الشهير . ثم احتدم الجدال في الجرائد بينهُ وبين بعض الكتاب والشعراء وانتقدوا كتاباتهِ واشعارهُ انتقاداً مرّاً وكان ذلك سبباً لاختلال قواهُ العقلية من تأثير الغم والكدر . وفي تلك الاثناء ورد من بيروت نبأ موت الجارية زينب فجزع عليها جزعاً شديداً واصابتهُ السوداء فارسل الى البيمارستان وبعد بضعة اسابيع وجد مشنوقاً في غرفتهِ فحمل ودفن باحتفال عظيم نظراً لما كان من المكانة في عالم الكتابة والادب . ولهُ مؤلفات كثيرة بين روايات تشخيصية وقصائد شعرية وسياحات وكلها طبعت بعد وفاتهِ بزمن وجيز . انتهى)

ديمتري نقولا

الاسطول البريطاني ونصيب انكلترا من الحرب

اوردنا في مقتطف دسمبر الماضي قول الجنرال جوفر وهو « ان الضربة القاضية في هذه الحرب تكون في البرّ لا في البحر» ولكن ذلك لا يحط من قيمة الاسطول البريطاني ولا يجنسهُ نصيبهُ من العمل العظيم الذي قام بهِ في هذه الحرب . ولقد اصاب الالمان في قولهم ان انكلترا هي عماد الحلفاء ولولاها لبلغوا وطرهم من فرنسا وروسيا وايطاليا . والانكليز يذكرون ذلك ويفتخرون بهِ ويقولون ان مساعدتهم لحلفائهم مكّنت الحلفاء من مواصلة الحرب الى الآن . وقد اورد بعضهم على ذلك الادلة التالية في مجلة لندن الانكليزية قال

اذا نظرنا الى فرنسا وجدنا انهُ لولا الاسطول البريطاني لبقيت مرافئها كلها في بحر المانش والجهات الغربية عرضة لغزو الالمان ولدخلت الجيوش الالمانية من هناك والتفّت على الجيش الفرنسوي لما ارتدّ نحو باريس فاحاطت بهِ . ولولا الاسطول البريطاني لما امكن نقل الفحم من انكلترا الى فرنسا لتشغيل معامل الذخيرة فيها ولا نقل الفولاذ (الصلب) اليها بعدما استولى الالمان على مقاطعاتها الشمالية التي فيها ثلاثة اخماس منابع الفحم والحديد الفرنسوية . ولولا الاسطول البريطاني لتعذر نقل الجنود الى فرنسا من المستعمرات الفرنسوية ولتعذّر ايضاً نقل مواد الطعام اليها من كل الاقطار لاطعام رجالها الذين انقطعوا للحرب وعمل الذخيرة . فلولا مساعدتها البحرية لها لما اغنت عنها شجاعة جنودها شيئاً مع اعظم تساعدتنا قوّتها على مقابلة خصمها ومناجزتهِ ووقوفها في وجههِ كسد من حديد

واذا نظرنا الى روسيا رأينا انهُ لولا اسطولنا لتعذر ايصال الاسلحة والذخيرة اليها من الخارج . ولو لم تدخل انكلترا في هذه الحرب لما دخلت اليابان ايضاً ولما استطاعت روسيا ان تنال منها ما نالتهُ من المساعدة المادية فان اليابان اصبحت معملاً كبيراً لعمل الاسلحة والذخائر لروسيا . ولولا ما لقيت روسيا من المساعدة الثانية من انكلترا لما استطاعت ان تقوم بالنفقات الحربية التي طُلبت منها

واذا نظرنا الى ايطاليا رأينا ان وجود الاسطول البريطاني مكّن الاسطول الفرنسوي من البقاء في بحر الروم فحمى سواحل ايطاليا وزد على ذلك ان انكلترا بعثت الى ايطاليا بما تحتاج اليهِ من الفحم لاسطولها ومعاملها ومكّنتها من الحصول على كثير من المواد الاصلية اللازمة لصناعتها

والاسطول البريطاني هو الذي مكّن الحلفاء من التعاون ولولا هذا التعاون لاستحال عليهم الفوز وحقّ عليهم الانكسار . فانهُ لما اضطرت روسيا ان ترتد القهقرى امام جنود مكسن دخلت ايطاليا الحرب فاضطرت الجنود النمسوية ان تعود اليها تخفّف الضغط عن روسيا . ومهما قيل عن عدم فوز الجنود البريطانية في غليبولي فان وجودها هناك حوّل نحو نصف مليون من الجنود التركية عن مقاومة روسيا في القوقاس ولم يكن في الامكان ارسال الجنود البريطانية الى غاليبولي لولا الاسطول البريطاني

ولا ينحصر نفع الاسطول البريطاني في الفوائد المادية التي نالها الحلفاء منهُ بل يتناول الفوائد الادبية فان الحلفاء وثقوا انهُ ما دامت انكلترا قابضة على عنان البحار فلا سبيل لالمانيا ان تفوز عليهم لان انكلترا لا تنفك عن الحرب او تحرز النصر على جاري عادتها في كل حروبها . وقد اتضح الآن ان الالمان يئسوا من الفوز على انكلترا وحصروا همهم في الفوز على حلفائها ويجمل القول ان انتظام انكلترا في صفوف الحلفاء قلب كفة الميزان وجعل النصر من نصيبهم بعد ان كان من نصيب اعدائهم

ويلخص فعال الاسطول البريطاني بانهُ الزم الاسطول الالماني على البقاء في مرافئهِ مختبئاً فيها ولم يخرج مرةً منها الاّ حاربهُ الاسطول البريطاني وقهرهُ . ولم تلتقِ السفن البريطانية الحربية بالسفن الالمانية الحربية في معركة الاّ دارت فيها الدائرة على السفن الالمانية ما خلا معركة واحدة تغلّبت فيها السفن الالمانية بقيادة الاميرال صبي على السفن البريطانية ولكن الاميرال ستردي تعقب الاميرال صبي الى ان التقى بهِ في معركة فوكلند وقضى عليهِ . وقد تمكن الانكليز من القضاء على كل السفن الحربية الالمانية التي كانت في عرض البحر ولم يبقوا على واحدة منها فاطلقوا العنان لعشرة آلاف سفينة من سفنهم التجارية تجول في بحار المسكونة ذهاباً وياباً لنقل الجنود والمتاجر رغماً عن وجود الغواصات والالغام وهي تنقل البضائع بين بلدان الحلفاء وبلدان الدول المحايدة وتجلب الى بلدان الحلفاء الطعام والقطن والصوف والبترول

ولا يقلّ الرجال الذين في خدمة سفننا الحربية والتجارية الآن عن مليون وسبعمائة الف نفس ٣٥٠٠٠٠ منهم في السفن الحربية و ٣٠٠٠٠٠ في السفن التجارية والباقون في المعامل التي تبني السفن ويعملون في المرافئ والاحواض . وقد رأى الالمان ذلك فاقتنعوا ان قوتنا البحرية لا تقهر وان البحار ستبقى مفتوحة امامنا مسدودة امامهم . فلم يبقَ لهم

تجارة بحرية . وما حاولوهُ اخيراً من ارسال القليل من بضائعهم بغواصة الى اميركا لم يقصدوا بهِ الربح التجاري بل انعاش نفوسهم بالاوهام لان نفقة نقل البضائع بالغواصات تزيد على ربحها والتجارة للربح لا للجاعة

وقد تمكنا بواسطة اسطولنا من القضاء على المستعمرات الالمانية وانتزاعها فلم تبقَ لمانيا دولة بحرية بل عادت كما ارادها بسمارك دولة برية لا غير ولكنها تجاوزت ما ارادهُ لها لانها اضرمت نار الحرب في الشرق والغرب والشمال والجنوب في وقت واحد

وبفضل قوتنا البحرية تمكنا من مقابلة خصومنا في سبعة ميادين مترامية في وقت واحد في فرنسا وانريقية والكرون والدردنيل وشرق مصر وغربها والعراق

وقد حاول الالمان ان يضعفوا قوتنا البحرية فكانت النتيجة ان خسروا عشر بوارجهم التي من نوع الدردنوط ولم نخسر نحن بارجة من بوارجنا التي من هذا النوع . وقد بنينا في مدة الحرب من هذه البوارج الجديدة ثلاثة اضعاف ما بنوا هم على الاقل . وخسروا من طرادات القتال اكثر من نصف ما كان عندهم واما نحن فخسارتنا من هذه الطرادات لا تزيد على نصف خسارتهم منها . وخسروا من الطرادات الخفيفة نصف ما كان عندهم واما نحن فخسرنا خمس ما كان عندنا منها . وقد خسرنا من البوارج القديمة ثلاثة اضعاف ما خسروا هم ولكن هذه البوارج قلما يعتدُّ بها في حروب هذه الايام والباقي عندنا منها كثير جداً اكثر مما عندهم منها

والنتيجة اللازمة عن تسلطنا على البحار انهُ مهما كانت نتيجة الحرب البرية فخصمنا لا يستطيع ان ينتزع تجارتهُ البحرية الاَّ برضانا

وزد على ذلك كلهِ اننا تمكنا بواسطة اسطولنا من نقل ٣٥٠٠٠٠٠٠ من الجنود والممرضات الى ميادين القتال . وبعد ان كان جيشنا كلهُ لا يزيد على ٧٠٠٠٠٠٠ صار الآن بين خمسة ملايين وستة ملايين والذين ارسلناهم الى فرنسا منهُ قهروا نصف الجيش الالماني المحارب فيها . ومليون من هذه الخمسة الملايين او الستة جاء من الاقطار الشاسعة من كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقية وبلاد الهند جاؤوا والاسطول يحميهم . وقد كانت المانيا تمني نفسها انهُ حالما ينفخ في بوق الحرب تمزق اوصال الامبراطورية البريطانية شماطيط فكانت النتيجة ان أُحكمت عراها احكاماً لا مثيل لهُ وصارت كلها جزءاً واحداً لا يتجزأ والذي يحارب الآن ليس جزر بريطانيا بل الامبراطورية البريطانية كلها

وكتب آخر في مجلة السيتراند الانكليزية يقول : — انشأت المانيا ترعة كيال لتكون مخرجاً لاسطولها فيخرج الى البحر الشمالي اذا اراد مناجزة الاسطول البريطاني ويعود الى بحر البلطيك اذا انكفأ عنهُ واراد مناجزة الاسطول الروسي . فكان جواب الاميرال فشر لهُ ان بنى اول بارجة من نوع الدردنوط وهي اكبر من ان تحتمل تلك الترعة مرورها فاذا ارادت المانيا ان يناجز اسطولها الاسطول البريطاني فلا بد لها من ان تبني بوارج مثلها بمدافعها الضخمة والاَّ لم تستطع الوقوف امام الاسطول البريطاني . فلم تزَ لها بدّاً من ان تعيد الكرة على ترعة كيال وتوسعها وتعمقها وتبني بوارج كبيرة من نوع الدردنوط ففعلت وانفقت على توسيع الترعة وتعميقها ١٢٠٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات . ووسعت دور الصنعة التي تبني فيها بوارجها واخذت تحذو حذو انكلترا وتنقل الرسوم عنها واقرَّ مجلس النوَّاب الالماني سنة ١٩٠٠ على انفاق ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه لبناء البوارج الحربية وملحقاتها

وكانت تعاليم ترتشكي قد رسخت في عقول الالمان ان بريطانيا شاخت وصارت على شفا الاضمحلال وانهُ لا بدَّ لالمانيا من ان ترثها في سيادة البحار لكنهم رأوا بعد معركة جوتلند الاخيرة ان امانيهم لا يمكن ان تتحقق وانهُ ليس من الحكمة ان يقابل اسطولهم الاسطول البريطاني في عرض البحر ويناجزهُ او كما قال الاميرال فون كوستر « ان هذه المناجزة لا بدَّ من ان تنتهي الى امر من امرين اما الفوز وامّا الموت والاسطول الذي يقضى عليهِ لا يمكن ارجاعهُ ولا جلب اسطول آخر بدلاً منهُ ولذلك يجب ان نأخذ باطراف الحكمة ولا نغرى بمحاربة الاسطول البريطاني في عرض البحر محاربة يُرجَّح فوزهُ فيها علينا »

وقد تحقق ثقات الالمان ان الاسطول البريطاني صار الآن اقوى جدّاً ممَّا كان قبل نشوب الحرب لان البوارج التي بنيت حديثاً اكثر واقوى بما لا يقدَّر من البوارج التي فقدها . بل ان الزيادة فيهِ تفوق كل الاسطول الالماني . والغواصات وهي اهم سلاح تسلح بهِ الالمان لمحاربة الاسطول البريطاني لم تحدث وجههُ او كما قال الوزير بيشون الفرنسوي « ان من يظن ان غواصات الالمان التي هلك منها مئة في العشرين شهراً الماضية تستطيع ان تضرَّ بقوة انكلترا البحرية ضرراً يذكر فهو في ضلال مبين »

اما ضرر الاسطول البريطاني بالمانيا فيفوق الحصر فقد قال الاستاذ جرهردشوت مدير مرصد همبرج البحري « انا نشعر بسلطة بريطانيا على البحار في كل منا »

وقال المر البرت بلين اكبر اصحاب السفن في الامبراطورية الالمانية « ان البحار تكون حرة مفتوحة لكل احد في زمن السلم اما في زمن الحرب فزمامها في يد الاسطول الاقوى »

ولا يخفى ان مدينة همبرج اعظم موانئ المانيا التجارية وكان يدخلها في السنة اكثر من ٩٠٠٠ سفينة تجارية وقد بلغت قيمة البضائع الصادرة منها والواردة اليها ٧٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اما الآن فلا يدخلها شيء ولا يخرج منها شيء وقد وقف دولاب التجارة فيها تماماً وقس عليها سائر الموانئ البحرية

وكانت قيمة الصادرات من المانيا ١٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٣ وقيمة الواردات اليها ٥٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وكانت ترسل الى اسواق المكونة ربع ما يباع فيها من الحديد واربعة اخماس ما تحتاج اليهِ من المواد الكيماوية . وكان يباع في سوق الفراء في مدينة ليبسك ما ثمنهُ ٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة فاين كل متاجر المانيا الآن قضت عليها ملكة البحار باسطولها . وكان بعض عقلاء الالمان يوجسون من ذلك قبل الحرب . قال الهر بوسهل اكبر تجار لوبك « اني واثق ان ضغط بريطانيا على تجارتنا البحرية يضطرنا الى ان نحني ركب الخضوع لها اكثر من كل حرب برية » وقال فردرك لست « ان البحر معرض الامم والميدان الذي تتبارى فيهِ جياد الهمم والأُمَّة التي تُمنَع عنهُ ليس لها نصيب من خيرات العالم وامجاده »

وقد اعترف الحلفاء لبريطانيا بفضل اسطولها عليهم قال الوزير بريشون « ان الحوادث قد اثبتت انهُ لو حُصرت الحرب بين فرنسا وروسيا من جهة والمانيا وحلفائها من أُخرى لكان الفوز للالمان فلا نخدع انفسنا لان هذا هو الحق الصراح فلولا الاسطول البريطاني لكانت موانينا تحت رحمة العدو ولانقطعت مواصلاتنا . واذا كانت المانيا تنظر الآن الى بريطانيا كالد اعدائها فذلك لانها هي السبب الاكبر لافلابها القريب » ثم استشهد بقول كاثرر السياسي الايطالي حيث قال « كل من كانت انكلترا معهُ فهو الفائز حتماً »

وقد قابل احد الكاتب بين قوة الاساطيل القديمة والاساطيل الحديثة فقال ان اول بارجة مسرعة بناها الانكليز واسمها وريور بلغت نفقات بنائها ٣٥٠٠٠٠ جنيه ولكن الدردنوط ورسبيتط التي احتملت اكثر شدة القتال في معركة جوتلند بلغت نفقات بنائها ٢٥٠٠٠٠ جنيه . وقد كان في السفينة فكتوري التي كان فيها الاميرال نلسن في معركة الطرف الاغر ٨٥ مدفعاً فلو اطلقت تلك المدافع كلها دفعةً واحدة ووقعت قنابلها على مكان واحد ما اثرت فيهِ نصف ما تؤثرهُ فيهِ قنبلة واحدة من قنابل مدفع من مدافع ورسبيتط التي قطرها ١٥ بوصة

هذا من حيث فعل الاسطول البريطاني . اما معامل بريطانيا التي تصنع الاسلحة والذخائر لها ولحلفائها فيكفي لوصفها ان نقول ان ما كان الانكليز يصنعونهُ في سنة قبل الحرب من القنابل الكبيرة يصنعونهُ الآن في اربعة ايام وما كانوا يصنعونهُ في سنة من القنابل المتوسطة يصنعونهُ الآن في ١١ يوماً . وما كانوا يصنعونهُ في سنة من مدافع الميدان يصنعونهُ الآن في ١٤ يوماً . وما كانوا يصنعونهُ في سنة من المدافع الصغيرة يصنعونهُ الآن في ٢٠ يوماً . ويصنعون الآن في شهر من المدافع الكبيرة مضاعف ما كان منها في كل حصونهم ومع كل جنودهم البرية . ويصنعون في اسبوعين او ثلاثة من البنادق الآلية قدر ما كان في كل مخازنهم قبل الحرب . ويصنعون من المتفجرات الشديدة كل اسبوع ١٢٠٠٠ ضعف ما كانوا يصنعونهُ في بداءة الحرب . وقد بلغ عدد معامل الذخيرة عندهم الآن ٩٥ وكان في بداءة الحرب ٣ فقط

ويبلغ الآن متوسط نفقاتهم اليومية ٧١٠٠٠٠٥ جنيه او نحو خمسة ملايين وثلاثة ارباع ويبلغ مجموع الاموال التي انفقت في السنة الاخيرة ١٩٥٠ مليون جنيه (او نحو ثمانية اعشار دخل الامة الانكليزية في السنة وهو ٢٦٠٠ مليون جنيه) فزادت ٣٥٠ مليون جنيه عما قدّر لها . ومعظم الزيادة نشأ عن زيادة الذخيرة والقروض لحلفاء والمستعمرات . وقد بلغت الاموال التي اقرضتها لحلفائها ومستعمراتها ٨٠٠ مليون جنيه . وسيبلغ مجموع دين الحكومة الانكليزية في آخر السنة الحالية الحاضرة نحو ٣٥٠٠ مليون جنيه او نحو اربعة اضعاف ما كان قبل الحرب ولكن اذا طرحنا منهُ ما اقرضتهُ لحلفائها ومستعمراتها بقي منهُ ٢٧٠٠ مليون جنيه وهو دين باهظ جداً ولكنهُ لا يزيد على دخل الامة في سنة

هذا وقد جاءت الاخبار البرقية عند كتابة هذه السطور ان امبراطور المانيا عرض الصلح على الحلفاء على ان تعود الامور الى ما كانت عليهِ قبل الحرب ما عدا بولونيا فان اقسامها تضمُّ بعضها الى بعض وتعود مملكة مستقلة . ولم ترد التفاصيل المتعلقة بذلك ولكننا نرجح ان الحلفاء لا يوافقون على صلح تبقى فيهِ المانيا في درجة من القوة تهدد السلام حتى يضطروا دائماً الى انفاق النفقات الحربية الباهظة على جنودهم واساطيلهم . فيبعد عن الظن ان يقبلوا بصلح يكون شبيهاً بالحرب الدائمة من حيث كثرة النفقات الحربية خوفاً من حرب مقبلة لاسيما وانهم يحسبون انهم سيفوزون على المانيا اخيراً ويضطرونها الى قبول الشروط التي يفرضونها عليها

باب تدبير المنزل

قد فقدنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام والثياب والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

وراثة الاخلاق

كلٌّ منّا انما هو في جسمهِ مجموع ملامح وتقاطيع ورثها عن آبائهِ . وفي نفسهِ مجموع صفات وشهوات جاءتهُ عن طريق ابيهِ وامهِ وجدّيهِ قبلهما وهكذا الى اول السلسلة . فلذلك قيل الانف الروماني والانف الارمني والانف العربي والعين الجرمانية والعين اليابانية الى آخر ما هناك . ولذلك عرفت هذه الامة بجمود الطبع وذاك الشعب بنزقهِ الى غير ذلك من الاخلاق والشهوات المختلفة .

خذ لك الغضب مثلاً فان سببهُ داخليًّا اكثر منهُ خارجيًّا بدليل ان العامل الخارجي الواحد قد يثير غضب زيد اكثر مما يزيد غضب عمرو . وبكلمات اخرى انك بينما ترى زيداً يغضب لاقل باعث كأن يكون ذلك الباعث ذباب «هزج يحكُّ ذراعهُ بذراعهِ» كما قال عنترة ترى عمراً رابط الجأش قد لا تستثيرهُ الرياح الموجاء . وسرعة الغضب لا تقتصر على طبقة من الناس دون اخرى بل تعمُّ الناس جميعاً على اختلاف درجاتهم . فقد يكون المثيظ المحنق غنيًّا او فقيراً عالماً او جاهلاً عاقلاً او مجنوناً

ولسنا نعرف ماهية الغضب تماماً . وكل ما نعلمهُ عنهُ ان الافراط في الاكل والشرب وسوء الهضم وبلادة الاعضاء والمعيشة في وسط كثير القلق — هذه الامور واشباهها مجلبة لهُ ومساعدة على تحريك سواكنهِ واثارة كوامنهِ . ولكن ما يثير الواحد قد لا يؤثر اقل تأثير في الآخر كما قلنا ولا نعلل لهذا الاختلاف البيّن الاَّ بالوراثة . فقد ظهر للباحثين انهُ كثيراً ما يعتري بعض الناس في مدد معينة اسبوعية او شهرية او سنوية او اطول او اقصر نوب عصبية تثير ثائرهم كأنما تجتمع في ابدانهم مادة تؤثر في جهازهم العصبي فتتمهُ وتفقدهُ لاطف الامور واحقرها

والغضب اكثر ما ينتاب العائلات التي فيها افراد معرّضون للصرع (النقطة)

والهستيريا والجنون على انهُ قد لا يسبق بالضرورة هذه الامراض اذ كثيراً ما يرى مصروعون ومجانين ارقَّ طبعاً واهدأ بالاً من الفلاسفة الزاهدين . والظاهر ان هذه النوب اكثر حدوثاً في الاشخاص الذين اختلَّ جهازهم العصبي او غيرهُ من اجهزة الجسم

وسواء كان الغضب ينتاب صاحبهُ في مدد موقوتة او غير موقوتة فهو في الحقيقة وواقع الامر رجوع الى دور الطفولة الموسوم بشدة الغرق وضيق الصدر وسوء الخلق . فان الاولاد اسرع اندفاعاً الى الغضب من البالغين . وعليهِ يكون سبب سوء الخلق الذي عرف بهِ بعض العائلات احد امرين . فاما انها رجعت الى الاصل وهو معروف بسوء خلقهِ واما ان تلطُّف شهوة الغضب فيها يوجب سنة الارتقاء توقف لسبب من الاسباب

ومهما يكن تاريخ هذه الخلَّة في جنسنا فاننا نعلم انها متوارثة في بعض العائلات جيلاً فجيلاً من غير ان تكون هناك حلقة مفقودة . اي ان بعض الافراد من كل جيل تكون فيهم هذه الخلة في حين ان البعض الآخر يعدمها . والذينَ تكون فيهم يورثونها اعقابهم . والخلال التي لا يعدمها جيل من الاجيال في العائلة الواحدة تسمَّى في عرف علماء الوراثة بالخلال الغالبة . ومقدار هذا الغلَب يتوقف على تاريخ الابوين الوراثي فان كان الطرفان معروفين بسرعة الغضب ينتميان الى اجداد مثلهما في سرعة غضبهما فاولادهما يكونون كذلك مئة في المئة

وقد نقلنا رسمين حقيقيين يوضحان ناموس الوراثة في هذه الشهوة . فالدوائر تمثل الاناث والمربعات الذكور . والسوداء في الاولى تمثل المصابات وفي الثانية المصابين . اما الرسم الاول فيبدأ بامرأة جدةٍ ولدت لها ثلاثة اولاد اخلاقهم سيئة وهم اثنان واثنة . واحد الابنين تزوج امرأة مثلهُ في سوء خلقهِ فولد لهُ ابن وثلاث بنات . فالابن واحدى البنات على خلق حسن والابنتان الاخريان على غاية من سوء الطبع

واما الرسم الثاني فيمثل اصلاً ذا اربعة فروع مؤلفاً من جدٍّ سيء الخلق وجدةٍ حسنةٍ وقد اورث الجدّ سوء خلقهِ لبعض ابنائهِ واحفادهِ واولاد احفادهِ واولادهم اي الى الجيل الرابع بعدهُ . وبلغ الداء من احدى حفيداتهِ من اهل الجيل الرابع ان ارسلت الى احدى الاصلاحيات لقضاء بقية عمرها فيها

وقد نوحظ ان معظم الذين يدخلون الاصلاحيات او كلهم تقريباً من اهل الطبقة السفلى التي لم تتعلم فان المتعلم والخالص السريرة يبذل جهدهُ في امتلاك عواطفهِ وكبح جماح غضبهِ

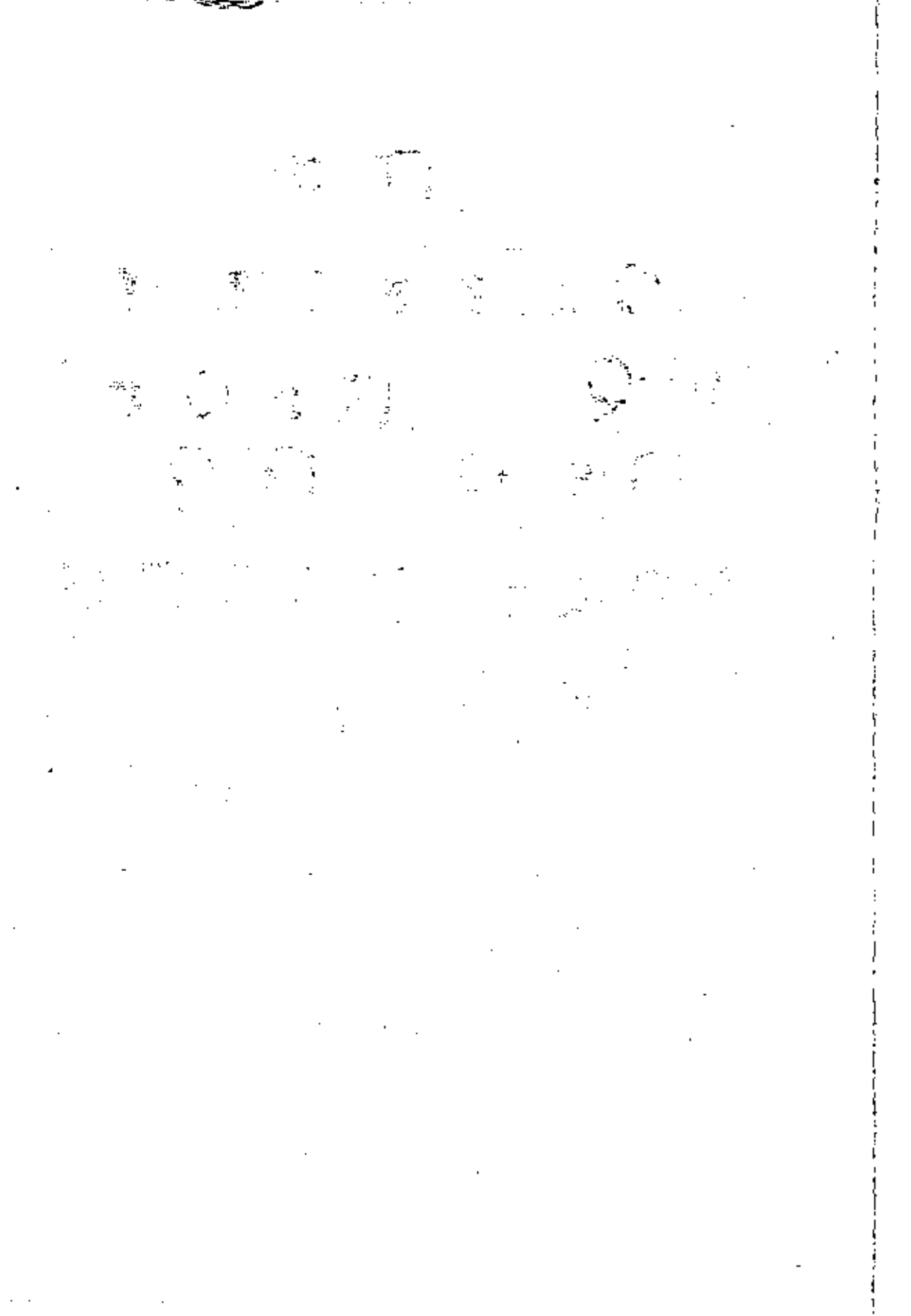

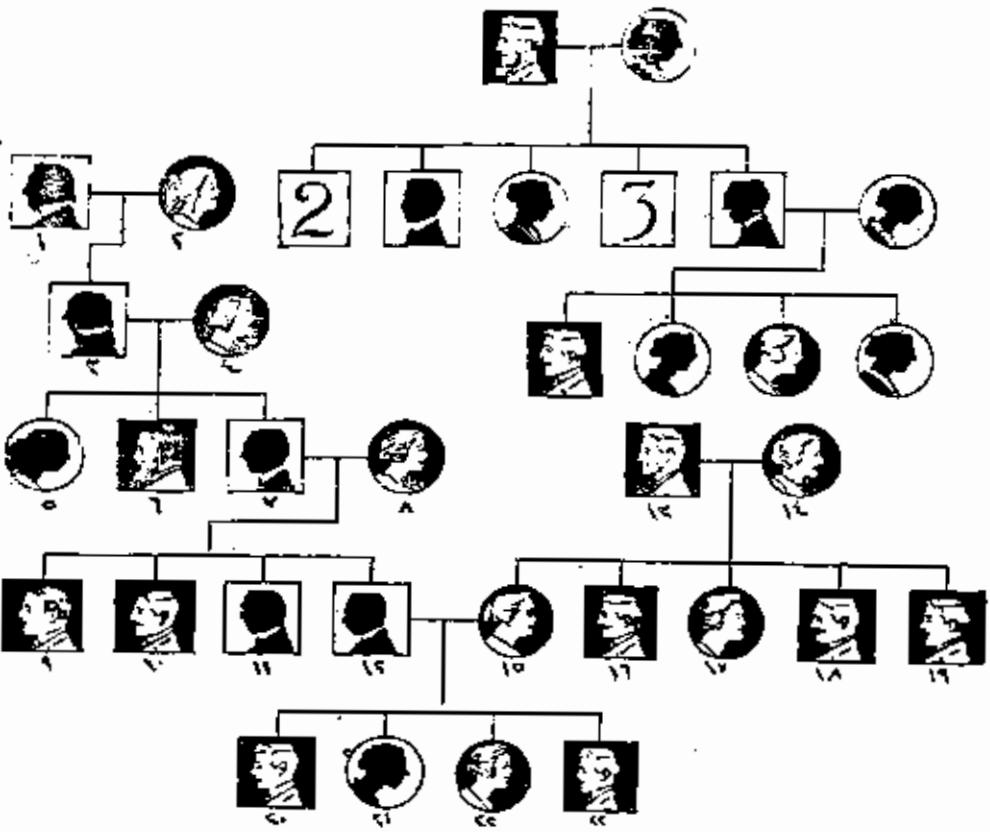

وراثة الاخلاق — الصور البيضاء للسليمين من الرجال والنساء والسوداء للمصابين

مقتطف يناير ١٩٠٧

امام الصفحة ٦٧

حتى لقد يعف في الاكل والشرب وينام نوماً كافياً ويسرف في العناية بصحته وترويض بدنه لان هذه الامور قد تعود ببعض النفع عليه فكأنها تبيد العوامل المهيجة او تلطف تأثيرها كثيراً حتى لا يشعر به . وقد يحصل العاقل على افضل النتائج بتجاهل تلك العوامل وحسبانها كأن لم تكن وهذا يقتضي جهداً عظيماً . اما اذا كان العقل ضعيفاً والخلق نافراً لا يقبل علاجاً فلا خير من الاصلاحيات محافظة على مصلحة الفرد والجمعية معاً

كشف غش المأكولات

غش الزبدة

ابسط طريقة لكشف غش الزبدة والتفريق بين الطبيعية الصرفة والصناعية او المسماة بالمرغارين ان يؤخذ شيء من الزبدة التي يراد فحصها ويوضع في اناء صغير ثم يوضع الاناء في ماء حار لتذوب الزبدة ان كانت جامدة . وتُبقى الزبدة سائلة نصف ساعة فان كانت خالية من الغش ظهرت صافية نقية والاَّ فان كانت صناعية او ممزوجة بالمرغارين ظهرت متكدرة

ومثل هذه الطريقة في بساطتها ان يؤخذ شيء من الزبدة التي يراد فحصها ويوضع في ملعقة وتحمى الملعقة على السبيرتو فان كانت الزبدة صرفة تصاعدت منها فقاقيع صغيرة من غير ان تحدث صوتاً . وان كانت مغشوشة تفرقعت وطار منها الرشاش

غش الشاي

يغش الشاي بان تلوّن اوراقه لتظهر خضراء . ويكشف هذا الغش بان يؤخذ بعض ورق الشاي ويفرك على خرقة من النسيج الابيض كالبفتة والشاش . فان كان نقياً لم يظهر له على الخرقة اثر والاَّ فان كان مصبوغاً تلونت الخرقة به

غش السكر

يغش السكر بان يضاف اليه اشياء كثيرة لا تعرف ماهيتها بسهولة بل لا بدّ لذلك من تحليل كيماوي طويل . على ان هناك طريقة بسيطة تدلنا هل السكر مغشوش ام لا بصرف النظر عن ماهية الغش . وذلك ان يذاب شيء منه في ماء صرف ويوضع في انبوبة من انابيب التحليل وتوضع الانبوبة على ورقة مكتوبة فان كان السكر نقياً امكن قراءة الورقة بسهولة والاَّ فلا

غش الخبز

يغش الخبز باضافة مواد كثيرة اليه منها ما يصعب كشفهُ الاَّ بالتحليل الكيماوي ومنها ما هو سهل بسيط . ومن النوع الثاني غش الخبز باكثار الملح فيهِ ليزيد ثقلهُ فان الخبز الكثير الملح اثقل من الخبز الذي ملحهُ قليل لان الاول يحتمل كثيراً من الماء . ولكشف هذا الغش تؤخذ نموذجات متساوية وزناً من الخبز الذي يراد فحصهُ ثم توضع في فرن مدة ساعة حتى تجف وتوزن بعد ذلك فالاثقل هو الافضل

ومنهُ غش الخبز باضافة الشب الابيض اليهِ لتبييض لونهِ والشب مضر بالصحة اذا دخل المعدة تكراراً ولو باجزاء صغيرة . ولكشف الغش بهِ يؤخذ شيء من الخبز المشتبه في نقاوتهِ ويرضع في صحن ثم يصب عليهِ قليل من كربونات الامونيا فان كان في الخبز شب اسود والاَّ فلا

غش المربى

تغش المربيات بصبغها بالوان تحسن لونها . ويكشف هذا الغش بان يذاب شيء من المربى الذي يراد فحصهُ في مثلهِ ماء وتغمس فيهِ خرقة بيضاء من النسيج الصوفي القطني ويغلى الكل نصف ساعة ثم تغسل الخرقة فان كان المربى نقياً خرجت الخرقة بيضاء والاَّ فان كان مصبوغاً خرجت ملونة بلون الصباغ الذي غش المربى بهِ

غش الخل

يغش الخل باضافة بعض الحوامض المعدنية اليهِ واشياء اخرى . والحوامض المعدنية كثيرة الضرر تكشف بان يؤخذ شيء من الخل ويضاف اليهِ بعض نقط من الحبر الازرق البنفسجي . فان كان الخل نقياً لم يتغير لونهُ والاَّ ازرق او اخضر

الاعتماد على الغير

ما شعرنا بعظم افتقارنا الى اصغر بلاد اوربية في جميع شؤوننا حتى جاءت الحرب العظمى فاشعرتنا بهِ . كنا نحسبنا قبل الحرب في حاجة الى البلدان الكبرى دون غيرها كانكلترا وفرنسا وروسيا في طعامنا ولباسنا وسائر حاجاتنا فاذا بنا نرانا الآن في اشد حاجة الى اصغر بلاد . هذه السوج التي هي اقصى بلدان اوربا عنَّا كنا نستورد منها الكبريت والورق و«بوابير» الطبخ المعروفة باسم « بريموس » ولم نكن عامتنا تعرف ذلك فلما جاءت الحرب وطالت ندرت هذه الاشياء وغلت اسعارها فقاموا يتساءلون عن السبب فلما ظهر

السبب بطل العجب . ومثل هذا يقال عن بروج التي كنا نستورد منها معظم زيت السمك الذي يباع في اسواقنا . وعن هولندا وجبنها وزبدتها . ورومانيا ولحمها ودقيقها وبقولها . والبلغار وجبنها البلقاني الى آخر ما هناك

والذي حدانا الى كتابة هذه المقالة ما رأيناهُ من هبوط صفة عيدان الكبريت بعد انقطاع وارده الاسوجي عنّا فان بعضها لا يشتعل او ينطفئ حالاً فلا يشعل مصباحاً او ابوراً الاَّ بعد احراق بضعة عيدان . وغني عن البيان ان التي والميسور الحال لا يشعر بهذا النقص لانهُ يستغني بالغاز او الكهربائية او يأكل طعامهُ مطبوخاً عليها فلا يشعر بذلك الاَّ الفقير الذي لا يزال يعوّل على زيت الغاز في الاستصباح والطبخ . فان كانت هذه الحال التي بتنا فيها والتي ارتنا عظم اعتمادنا على الغير وشدة افتقارنا اليهِ في جميع حاجاتنا — تنبهنا بعد الحرب الى السعي في الاعتماد على انفسنا ولو ببعض الشيء فهي نعمة في زي نقمة كما يقولون

قوة البيضة

كان يقال ان اقوى قويّ لا يستطيع كسر بيضة الدجاجة اذا ضغطها بين يديهِ من « الراس » الى « العقب » لكنهُ اذا استعان بركبتيهِ اي وضع يديهِ بين ركبتيهِ وهو يحاول كسرها فقد يكسرها . اما الضعيف فلا يستطيع شيئاً من ذلك . وهذا القول شائع في الشرق والغرب معاً فقد كتب كاتب الى السيتفك اميركان يؤيد ذلك فردَّ عليهِ كاتب آخر برسالة قال فيها :

« جاء في رسالة لبعضهم انهُ لا يستطيع احد مهما كان قوياً ان يكسر بيضة صحيحة بضغطها بين يديهِ ضغطاً موازياً لمحورها (اي بين الراس الى العقب) . وقد كنت انا من المعتقدين بذلك . ولما رأيت بيضة تكسر على هذه الطريقة لاول مرة لم اصدق عيني وداخلتني شبهة في كاسرها اعتقاداً بانهُ لم يفعل ذلك كما يجب ان يُفعل . ولم تزل هذه الشبهة حتى صرت انا اكسر البيضة فلما كسرتها المرة بعد المرة دهشت جداً وجعلت افتش على سبب اخفاقي قبلاً . وعندي ان لذلك اربعة اسباب (١) اعتياد الناس تناول البيض بالتؤدة (٢) الخوف من تلوث ملابسهم بها عند انكسارها (٣) خوف غريزي من انكسار كل شيء يكون في اليد (٤) ان الواحد منّا يحاول كسرها مرة او مرتين بلا عناية ويبذل كل القوة فيخفق ويشعر بالم في راحتيهِ فاذا حاول كسرها مرة ثالثة يجد ان ذلك متعذر عليهِ »

سبب الصلع

الصلع وراثي فاذا كان الوالدان او احدهما اصلع فقد يرث اولادهما كلهم او بعضهم الصلع منهُ او منها فيظهر فيهم وقد يرثونهُ ولا يظهر فيهم بل يظهر في بعض اولادهم · ومتى كان الصلع في الوالدين مما كان ظهورهُ في اولادهما ارجح مما لو كان في احدهما دون الآخر · ويكثر الصلع في الرجال ويقل في النساء · والغالب انهُ يحدث في الشيخوخة وقد يبتدئُ في الكهول ونادراً في الشباب · ومتى ابتدأ الصلع الوراثي فلا شيءَ يوقفهُ او يزيلهُ ويردُّ الشعر الى نموهِ ولكن الصلع غير الوراثي الذي ينتج عن مرض قيزول اذا عادت الصحة واستعمل الاصلع بعض الادهان التي تقوي نمو الشعر

فوائد الليمون الحامض (المالح)

لا ندري لماذا يوصف الليمون الحامض بالمالح في هذا القطر فانهُ حامض لا مالح · ومهما يكن من وصفهِ فهو معروف كثير الاستعمال في الاطعمة والاشربة ولهُ فوائد طبية كثيرة فانهُ يفيد في الدنشيريا والقرس والزكام والروماتزم والبول السكري بل يقال انهُ دواء يشفي من البول السكري احياناً · وتلثم بهِ الجروح الخفيفة وشقوق الاصابع التي تحدث من البرد

ومن مزاياهُ في الزينة انهُ يبيض جلد اليدين ويحسّن لون الوجه ويساعد على اخفاء النمش وفي تدبير المنزل ان بهِ تنظف الادوات النحاسية وتجلى

البرد والرطوبة

كان الناس في البلاد الباردة يقولون انهم اذا اوقدوا النار في موقد حديدي لتدفئة غرفة ايام البرد وجب ان يصعد فوق الموقد صحفة فيها ماء ليتبخّر منهُ ويمنع الضرر مع ان المواقد التي لها مداخن صاعدة فوق السطح يخرج منها الدخان والغاز فلا ضرر منها · ولكن العلم الآن انهُ اذا كان البرد شديداً في غرفتين على حدٍّ سوى وكان بخار الماء في احداهما اكثر منهُ في الاخرى فالشعور بالبرد يكون في الاولى اقل منهُ في الثانية وعليهِ فوضع الماء فوق الموقد يقلل الشعور بالبرد لانهُ يطلق البخار في الهواء

باب الزراعة

استغلال الارض

(١١)

يجري اصحاب المزارع الواسعة ومن حاكاهم من اصحاب المزارع المتوسطة في استغلال اطيانهم على طريقتين

(الاولى) زرعها على حسابهم (وسية)

(الثانية) تأجيرها لاهل المزرعة ومجاوريهم

والغالب ان يجمع بين الطريقتين فيزرع بعضها وسية ويؤجر البعض الآخر وفي بعض المزارع الواسعة يجرون ايضاً على طريقة المشاركة المشروحة في مقالتنا السابقة (المساقاة)

وفي حالة زراعتها وسية يعتمدون في فلاحتها على انفار بالاجرة وفي ادارتها على موظفين اما الانفار فيكونون اما من عامة اهل المزرعة ومجاوريها الاقربين فقط وذلك في الجهات الوفيرة العمران كبلاد الجهات الجنوبية واشباهها واما منهم ومن انفار تجلب من الجهات الاوفر عمراناً وذلك في الجهات البحرية ولاسيما اطرافها المستجدة

واجرة الفاعل في اليوم الواحد تختلف باختلاف الفصول تبعاً لكثرة العمل وقلته ووفرة العمران وضعفه فتكون من ٣ — ٤ قروش واحياناً اكثر من ذلك ويضاف اليها ما يعطى لمعرف الانفار الجنوبية ومقداره من ٦ الى ١٠ في المائة من مجموع اجر الانفار الذين استخضرهم . اما اجر الصبيان فهي نصف ذلك او اكثر او اقل قليلاً من النصف تبعاً لسنهم وعادةً تغلو اجر الرجال كثيراً إبان عزيق القطن وتزيد أجرة الصبيان كذلك إبان تنقية ديدان القطن وجنيه وتقليب الذرة وتحميد الذرة وترخص في بعض فصلي الربيع والشتاء

ويوفى الانفار اجرهم باحدى الطرق الآتية :

(١) اذا كانوا من اهل المزرعة ذاتها فتكون في اغلب يوميتهم (اي اجرتهم اليومية) ثابتة على ٣ قروش دائماً في اي فصل من فصول السنة يستوفونها باحدى طريقتين :

الاولى باستئجار اطيان بايجار يقل عما تساويه نحو الثلث تقريباً وهذه الاطيان اما ان تبقى معهم دواماً لزراعتها شتوياً وصيفياً وليلياً ويعطى الفاعل في هذه الحالة فداناً

ونصفاً والصبي من ثلاثة ارباع الفدان الى فدان وربع . واما ان يعطوا قطعة من الارض موقتاً مدة الشتاء لزراعتها برسيماً لمواشيهم ومدة الميل لزراعتها ذرة لقوتهم وفي آخر كل سنة يحاسب هؤلاء واولئك على قيمة اجرهم من الايجار المطلوب منهم فاذا بقي عليهم شيء دفعوهُ واذا تبقى لهم شيء اخذوهُ . وعلى كل حال من حقوقهم في اثناء السنة ان يأخذوا مطاليبهم الضرورية ولاسيما في المواسم وعند الحاجة

الثانية ان تصرف لهم نقدية غالباً وحبوب احياناً مرة واحدة في كل شهر او نصف شهر او اسبوع واحد حسب درجة حاجتهم

(٢) اما الانفار الذين من غير المزرعة فيأخذون اجرتهم نقدية وتصرف لهم كما ذكر واذا كان لهم معرّف فهو الذي يستلم الاجرة عنهم اذ الغالب ان يكون اعطاؤهم اياها كلها او بعضها متقدماً

(٣) في بعض المصالح الكبرى يجعلون الانفار درجات من الفاعل الكبير الى الصبي الصغير باجرة اعلاها قرش واحد ونصف واقلها ٣٠ فضة ويعطى الرجل فداناً ونصف فدان الى فدانين ويعطى من دونهُ من الانفار اطياناً كذلك على نسبة اجرهم وبسعر الفدان ٢٠٠ قرش تقريباً ثم يحاسبونهم على اجرة عملهم تبعاً لمقدار الاطيان التي خدموها من ري او حرث او زراعة او عزيق او جني الخ ولكل نوع من انواع الخدمة اجرة محدودة توزع عليهم كل منهم على حسب ما يخصهُ بالنسبة للايام التي اشتغلها وقد يخص الفاعل الكبير من الاجرة في اليوم الواحد قرش واحد ونصف او اقل وهكذا

وتصرف هذه الطريقة بطريقة الشغل (بالمقاولة) ولهُ لوائح معروفة في الدوائر الزراعية التي تشتغل بها وربما عدنا لتفصيلها فيما بعد

والانفار الذين يشتغلون بالمياومة المستديمة ويأخذون اطياناً يسمون (تملية) وقد تسمى اطيانهم (معاشات) او (مقننات) ويشبه بهم الانفار الذين يشتغلون بالمياومة نقدية بما انهم كلهم من اهل المزرعة

اما الانفار الذين يجلبون من الخارج فيسمون (خطرية) او (اجرية) وما يجلب منهم من الجهات البعيدة عن المزرعة يسمون انفار « التراحيل »

ويجب ان يوجد في كل مزرعة من الانفار القليلة العدد الكافي للاشغال العادية المستديمة حتى تظل الاعمال سائرة في مجراها بدون تسويف او تعطيل اما الانفار الخطرية فتؤتى بهم حسب اللزوم في مواسم العمل

واعطاء الانفار اطياناً شائع في الجهات الجنوبية وما صاقبها من الجهات المتوسطة وفي الغالب ان تكون بصفة مستديمة في الوسايا الكبيرة و بصفة موقتة أي زرعة بزرعة في الوسايا المتوسطة

اما صرف الاجر نقدية فشائع في الجهات البحرية خاصة ولاسيما عند الشركات والاعيان الموسرين

احمد الالفي
مأمور زراعة

تحديد اسعار الحبوب

افتتحنا باب الزراعة في مقتطف دسمبر الماضي بمقالة مسهبة ابنا فيها انهُ لا يحسن بالحكومة تحديد اسعار الحبوب في بلاد زراعية وختمنا المقالة بقولنا انهُ اذا ارتفعت اسعار الحبوب في الخارج اهتمَّ القطر بزراعتها حتى تزيد على حاجتهِ كما حدث في هذا العام والذي قبلهُ . واذا رخصت اسعارها جدًّا في الخارج حتى زال الربح من زرعها اهملها وصار يجلب جانباً كبيراً منها من الخارج كما كان يفعل في السنوات الماضية . ولم تمضِ ايام على صدور المقتطف ونشر مقالتهِ في القطر حتى الفت الحكومة ما كانت قد قررتهُ من تحديد سعر بعض الحبوب وحسناً فعلت

ثم اننا اطلعنا على رسالة في جريدة التيمس الانكليزية لاحد الكتاب الاقتصاديين يبحث فيها كاتبها في ما ينتج عن تحديد الاسعار قال ما ترجمتهُ

ان اقتراح الحكومة (البريطانية) تعيين مدير عام مفوض او وزير مطلق الحرية لامور الطعام وتعيين اسعار موادهِ قويل بالارتياح العام وقد يجمل بنا ان نفرض ان الحكومة باختيارها الجري على هذه الخطة كانت مدفوعة اليها بالاحاطة بحقائق لا يتيسر للجمهور الوقوف عليها فلا يجدر بالخارجين عنها الاسترسال في الانتقاد . على ان الواجب يقضي على كل باحث قبل التسليم بخطة تربي الى التعرض للنواميس الاقتصادية العظمى ان يمعن النظر في عاقبة هذا التعرض فان النواميس ليست من اوضاع البشر ولكنها نتيجة العلة والمعلول ولا مناص منها نعي من هذا القبيل كسائر النواميس الطبيعية

اعتدنا ان نعدَّ ارتفاع الاسعار وهبوطها كانهما « صمام الامن » في العمليات التجارية واحوال التجارة . فتحديد الاسعار عبارة عن اقفال هذا الصمام وفعلهُ مزدوج فانهُ ينشط الاستهلاك ويثبط الانتاج . مثال ذلك اذا حددنا سعر البطاطس فجعلناهُ ستة جنيهات

للطن الواحد فان مقطوعيتهُ اي كمية ما يؤكل منهُ تزيد عما لو كان سعرهُ عشرة جنيهات

وغني عن البيان ان الزراع الكبار منهم والصغار الذين اقبلوا على تحمل نفقات اعداد الارض في ايام الحرب هذه لتوسيع نطاق زرع البطاطس طمعاً بارتفاع الثمن يحجمون عن زرعهِ اذا انسوا من الحكومة ميلاً الى التعرض لهُ بتحديد الثمن او بوضع اليد على المحصول فالاطيان التي ارادوا توسيع نطاق الزراعة فيها تبقى بوراً ويأتي محصول البطاطس في العام القادم قليلاً

ولارتفاع الاسعار فعل مزدوج ايضاً فانهُ يقلل المقطوعية ويزيد الانتاج فقد قيل في الاسبوع الماضي ان البيض يبع بتوسط نصف شلن البيضة في احدى الاسواق . والمشهور عندنا جميعاً انهُ لم يبقَ في انكلترا بيت واحد لم ينقص عدد البيض الذي يأكلهُ وقد رأيت في هذه الجهة ان جميع صغار الفلاحين ضاعفوا مساعيهم لزيادة انتاج البيض عندهم فاذا تعرضت الحكومة لهذه المسألة وحددت سعر البيض وخفضتهُ فان الناس يكفون عن الاقتصاد في اكلهِ والفلاحين يكفون عن الاهتمام بزيادة ما ينتج منهُ

وقد ضربت هذين المثالين البسيطين العاميين لوضوحهما وانطباقهما على سائر المحاصيل . بقي عليَّ ان اسأل قائلاً اترون من مصلحة البلاد حتى اشد طبقات اهلها فقراً في ازمة الحرب التي نحن فيها ومن الحكمة والصواب اجراي على خطة يكون اول نتائجها زيادة المقطوعية وتقليل الانتاج

ان الذين يصرُّون على اكل البطاطس في هذا العام باسعار معينة قد يُحرَمون البطاطس اذا طالت الحرب معهم دفعوا من المال ثمناً لهُ

ان التوفير الاختياري الذي يسبب ارتفاع الاسعار ارتفاعاً مطرداً اعم واعظم نفعاً من تحديد اسعار الاشياء بوسطة السلطة وضرره في الجمهور اخف لان كل واحد يقتصد في مقطوعيتهِ بحسب حاجتهِ

ان الحكومة لا تعجز عن ابتكار تدبير آخر يكون اخف كلفة من تعيين الاسعار لتخفيف عبء الغلاء عن الفقراء فاذا لم يكن ثمة مناص من تعريم فريق بسبب الغلاء فالحكمة تقضي ان لا يكون هذا الفريق هو الفريق المنتج حرصاً على مصلحة الجمهور فان صحة الجمهور ونشاطهُ وقوتهُ تتوقف على صحة المنتج وقوتهِ ونشاطهِ وقد يتوقف على هذه ايضاً وجود الامة نفسها . انتهى

هذا ما ورد في الرسالة المذكورة عرضناهُ بالدقة والضبط وهو يطابق ما قلناهُ في مقالتنا

عن القمح والقطن وايهما نزرع ويطابق الخطة التي جرت حكومتنا عليها اخيراً. فان تعيين اسعار المحاصيل قد يظهر لاول وهلة انهُ الدواء الشافي من كل علة . وقد يكون فيهِ فائدة اذا لم يؤدِ الى ما اشار اليهِ كاتب الرسالة المتقدمة من احجام المنتجين عن انتاج الاصناف التي عينت اسعارها وانصرافهم الى انتاج ما هو اثمن منها واربح لهم كما في مسألة القمح والقطن

ويرى من ذلك ان المسألة من المسائل الاقتصادية الدقيقة وان حلها ليس من الامور السهلة كما يظن البعض وقد ظهر ذلك باجلى بيان للمؤرخين عن ادارة شؤون التطور الاقتصادية فتبين لهم ان طول مدة الحرب يقضي بتنشيط انتاج المواد الغذائية اللازمة لسكانهِ وهذا لا يكون الاَّ اذا ضمن الذين ينتجونها الربح الكافي منها والاَّ انصرفوا الى غيرها فيقل الموجود من هذه المواد في ساعة لا ينتظرها الجمهور وترتفع اثمانها ارتفاعاً فاحشاً في زمن قد لا يستطاع فيهِ جلب سواها من الخارج اما لضيق الوقت او لكثرة الطلب من البلدان المحاربة او لعدم وجود البواخر او نحو ذلك من الاسباب

وكيفما كانت الحال فتعرُّض الحكومة لتسعير حاصلات البلاد يدعو الى تثبيط الهمم ويضرُّ اكثر مما يفيد . والاسعار مقيدة بناموس الطلب والعرض او مقدار المقطوعية وما يستقطع ولا شأن للحكومة في ذلك الاَّ حينما يخشى من المجاعة

الزيت من بزور الاثمار

استخرج الالمان ٢٥٠ ٦٦٢ رطل زيت من بزور النبات المعروف باسم دوّار الشمس ومن الخشخاش . وهم يحاولون الآن استخراج الزيت من بزور الكرز والخوخ (الاجاص) ولاسيما ان عندهم من هذين الصنفين شيئاً كثيراً . فقد دلَّ احصاء زراعي سنة ١٩٠٠ ان في المانيا ٢٢ مليون شجرة كرز و ٧ مليون شجرة خوخ . وقد طلبت الحكومة الالمانية في السنة الماضية من تلاميذ المدارس ان يجمعوا ما يستطيعون من هذه البزور ففعلوا ولكن مقادير كبيرة تلفت لصعوبة عصر الزيت والدهن منها

الطماطم المتعرِّش

اذا صُنع عريش لشجرة الطماطم وعُرِّشت عليهِ وقطعت كل اغصانها الجانبية التي فيها حمل الطماطم فانها تطول وتكتسف العريش الى اعلاهُ ويكثر حملها ولاسيما اذا كانت من النوع الذي ثمرهُ صغير مستدير فانهُ يصلح ان يزرع في الجنائن للزينة

تسميد البطاطس

ثبت في هذه الحرب ان البطاطس من الاطعمة الكثيرة الغذاء حتى كاد الشعب الالماني يعتمد عليها في طعامه كاكثر حاصلات بلاده غذاء . وهي من النباتات التي يغزر محصولها بكثرة السماد كما يظهر من الجدول التالي وهو خلاصة تجارب كثيرة اجريت في ارلندا مدة احدى عشرة سنة في سبع قطع من الارض تركت الاولى منها من غير سماد وسمدت كل قطعة من القطع التالية بنوع او اكثر من الاسمدة المختلفة كما ترى في هذا الجدول

	السماد	المحصول طن	قنطار	ثمن السماد غرش
(١)	لا سماد	٤	٣	٠٠
(٢)	١٥ طنًّا من السباخ البلدي	٨	٤	٣٠٠
(٣)	٢٠ « « « «	٩	٢	٤٠٠
(٤)	١٥ طنًّا « « وقنطار سلفات النشادر	٩	٣	٣٨٧
(٥)	١٥ « « « « « « و ٤ قناطير اعلى فصفات الصودا	٩	١٩	٤٣٠
(٦)	١٥ طنًّا من السباخ البلدي وقنطار من سلفات النشادر و ٤ قناطير اعلى فصفات الصودا وقنطار موريات البوتاسا	١٠	٧	٤٨٢
(٧)	١٥ طنًّا من السباخ البلدي وقنطار سلفات النشادر و ٤ قناطير اعلى فصفات الصودا وقنطار سلفات البوتاس	١٠	١٢	٤٨٥

والطن هنا عشرون قنطاراً . فاذا فرضنا ان ثمن قنطار البطاطس عشرون غرشاً فقط فثمن محصول الفدان من القطعة الاولى ١٦٠ غرش رصافي محصول الفدان من القطعة الثانية بعد طرح ثمن السباخ ٢٩٨٠ غرشاً ومن الثالثة ٣٢٤٠ غرشاً ومن الرابعة ٣٢٧٣ غرشاً ومن الخامسة ٣٥٥٠ غرشاً ومن السادسة ٣٨٥٨ غرشاً ومن السابعة ٣٧٥٥ غرشاً

اي ان القطعة السادسة التي سُبخت بخمسة عشر طنًا من السباخ البلدي وقنطار من سلفات النشادر واربعة قناطير من اعلى قصفات الصودا وقنطار من موريات البوتاس كان صافي محصول الفدان منها اكثر من غيره . وعلى كل حال يتضاعف المحصول بالتسميد او يصير ثلاثة اضعاف . واذا فرضنا ان ثمن قنطار البطاطس عشرة غروش فقط بقي الربح كثيراً من التسميد ناهيك عن ان فائدة السماد لا تذهب في سنة واحدة بل يبقى جانب منها في الارض الى السنة الثانية والثالثة حسب نوع السماد

والظاهر ان الفائدة من استعمال السباخ البلدي اي زبل المواشي مع السماد الكيماوي تزيد على الفائدة من السباخ البلدي وحدهُ او السماد الكيماوي وحدهُ . و يوضع السباخ البلدي في الخط ويبذر السباخ الكيماوي فوقهُ ثم توضع تقاوي البطاطس فوق ذلك وتطمر بالتراب وتروى

وقد ظهر بالتجارب انهُ اذا أتي بالتقاوي من مكان بعيد عن المكان الذي تزرع فيهِ بلغ محصول الفدان احياناً ستة عشر طنًا او اكثر ولاسيما اذا كان في الارض قليل من الحصى

نمو الفطر

الفطر قليل جدًّا في هذا القطر على ما نرى لم نشاهدهُ ناميًا فيهِ الاَّ مرة او مرتين لكنهُ كثير في غيرهِ ولاسيما في البلاد الباردة كما في جبال سويسرا فقد تفقدهُ في مكان ولا ترى منهُ فيهِ الاَّ الشيء القليل ثم تأتي في اليوم التالي فتجدهُ كثيراً فيهِ حتى يسهل ان تجمع منهُ سلة وسلتين وكلهُ مما يؤكل ويستطاب وقد راقب بعضهم نوعًا منهُ وصورهُ اربع صور فوتوغرافية الاولى الساعة الثانية بعد الظهر وكان عند اول ظهور رأسهِ من الارض . والثانية الساعة السادسة وكان رأسهُ قد ظهر كلهُ وظهر بعض ساقهِ فبلغ ارتفاعهُ عن الارض نحو سنتمترين . والثالثة الساعة السادسة صباحًا في اليوم التالي وكان قد كبر وبلغ ارتفاعهُ اربعة سنتمترات والرابعة الساعة السادسة بعد الظهر وكان قد بلغ اشدهُ وصار ارتفاعهُ ستة سنتمترات ومحيط رأسهِ اكثر من عشرة سنتمترات . وراقب بعضهم نوعًا آخر من الفطر في جزائر هواي فرأى انهُ ينمو اكثر من بوصة كل دقيقة حتى يستطيع المرء ان يرى نموهُ بعينيهِ

ولا يخفى ان انواعاً كثيرة من القطر تؤكل وفي طيبة الطعم مطبوخة يكاد طعمها يكون كطعم الكلى وما يجلب منهُ الى هذا القطر ليس بالرخيص فلا يبعد ان تفلح زراعتهُ فيهِ ويكون منهُ ربح لزراعيهِ

الصبير

الصبّير نبات معروف يسمّى في هذا القطر « تين بشوكه » وقد سمّي في بعض القواميس الانكليزية العربية « تين هنديّ » و « تين فرنجيّ » اما القواميس العربية فلا تذكرهُ مما يدلُّ على ان العرب لم يكونوا يعرفونهُ . وهو من الفاكهة اللذيذة بل تعرف من يضعهُ في المقام الاول ويفضلهُ على العنب ملك الاثمار . فلذلك أستعرب ما ورد في احدى الصحف العلمية عنهُ قالت : كانت حكومة كوينسلند (في استراليا) قد انتدبت سنة ١٩١٣ لجنة لزيارة البلاد التي يكثر الصبّير فيها لتعلم حل في تلك البلاد اعداء طبيعية لهُ فتستخدمها لاهلاك ما ينبت منهُ في كوينسلند ولتعلم ايضاً حل يمكن استخدامهُ تجارياً . فساحت اللجنة في الارض طولاً وعرضاً ثم وضعت تقريراً ضافياً عنهُ قالت فيهِ ان لهُ كثيراً من الاعداء الطبيعية واشارت بادخال بعضها الى كوينسلند بدعوى ان هذه الاعداء تفتك بالصبّير فتكاً ذريعاً في جوّ كثير الحرارة والرطوبة كالبلد المذكور . ومما جاء في التقرير ان ثمر بعض انواع الصبّير يؤكل وان جذوعهُ واوراقهُ تستعمل لعلف الماشية في كثير من البلاد مخلوطة بمواد اخرى فتزيد لبن الماشية . وقد استخدم الصبير في الهند خصوصاً لتسييد التربة وفي اسبانيا وايطاليا لاستخراج الكحول منهُ . واستعمل في بلاد اخرى لاغراض شتى

التحكم في الجنس

وصف الاستاذ موروسيني الايطالي في كتاب نشرهُ طريقة للتحكم في جنس الحيوانات من حيث التذكير والتأنيث عند انتاجها . وقد تمكن بها على زعمهِ من احصار على جراء ذكور او اناث كما شاء في مدات طويلة واخذ في تطبيق قاعدتهِ على الغنم والخيل والبقر التي تربى في بعض معاهد ايطاليا الزراعية المشهورة

باب الصناعة

الصناعة المصرية

وورشة شمّاع بمروف

اهمال الناس لا تأتي عفواً بل هي نتائج لمقدمات تنتجها . فلو لم تكن تربة القطر المصري صالحة لنمو القطن وجودته لما زرع اهلهُ القطن فيهِ او لابطلوا زرعهُ بعد ان جربوهُ سنة او سنتين . ولو وجد الناس ان نفقات زرع القمح في هذا القطر تزيد على ثمن القمح الذي يؤتى بهِ من الخارج زيادة كبيرة لابطلوا زرعهُ واكتفوا بجلب قمحهم من الخارج كما ابطلوا زرع النيلة واكتفوا بجلب النيلة الطبيعية من الهند والصناعية من اوربا . وقس على ذلك كل الزراعات وكل الصناعات ايضاً . فقد كانت حياكة المنسوجات القطنية شائعة في كل مدن هذا القطر وبنادرهِ فلما صارت المنسوجات القطنية تأتي من اوربا رخيصة جداً ارخص مما يمكن نسجهُ منها في هذا القطر بطلت حياكة المنسوجات القطنية فيهِ . ولم يتم ذلك بامر حكومة ولا بفعل فاعل بل بمجرد ناموس الاقتصاد المعاشي الذي يقضي على كل احد ان يطلب الربح الاكبر و يقتصد ما امكن في نفقاتهِ

والآن لا يحتمل ان يصير القطر المصري صناعياً كما هو زراعي الا اذا امكن ترخيص مصنوعاتهِ فيهِ حتى تكون بالنسبة الى جودتها رخيصة مثل المصنوعات الاوربية والاميركية او ارخص منها او جعل المصنوعات الاوربية اغلى من المصنوعات الوطنية برسوم فاحشة تضاف الى ثمنها . ومن المحتمل اننا سائرون على الخطة المؤدية الى ذلك فيبعد عن الظن ان تنهال علينا البضائع الالمانية الرخيصة بعد هذه الحرب كما كانت تنهال قبلها . ومن المحتمل ان يزاد رسم الجمرك على البضائع الواردة من غير بلاد الحلفاء . وفي الحالين تعلو المصنوعات وقد لا يكون غلاؤها ضاراً لانها تكون اجود واتقن ولكنها تشجع الصناع الوطنيين على الاكثار من المصنوعات الوطنية اذ يبقى لهم ربح كاف منها

وكل ما لا يقتضي قوة كبيرة من المصنوعات ولا يلزم لهُ معامل واسعة جداً يمكن عملهُ في هذا القطر والربح فيهِ ولاسيما اذا كانت موادهُ الاصلية كلها او اكثرها موجودة في القطر

او يسهل جلبها اليه لغلاء ثمنها بالنسبة الى جرمها كالاحذية والثياب والبسط والمصنوعات الخشبية والجلدية والذهبية والفضية والنحاسية وكثير من المصنوعات الحديدية

والصناعة لا تنشأ وترتقي في المدارس بل في المعامل والورش حيث يتعلَّم الولد استعمال الآلات والادوات ثم يرتقي رويداً رويداً بتقدمه في السن ومزاولته الاعمال الى ان يصير صانعاً ماهراً

زرنا بالامس ورشة من هذه الورش في شارع معروف تخص الخواجات شمَّاع وشركاءهُ وهم اصلاً حلبيون ويديرها لهم الخواجه وديع بشور وهو شاب سوري من اهالي اللاذقية . وفي هذه الورشة نحو خمس مئة عامل يصنعون حلاجات الجمال وسروج الخيل وكل ما يتصل بذلك مما يحتاج اليه المسافر كالاخراج والزمزميات وما اشبه . ومتوسط اجرة الواحد منهم في اليوم نحو ٢٠ غرشاً وموادهم الاصلية كلها بلدية كالخشابا والاخشاب والجلود والاقمشة القطنية والكتانية والصوفية . ولعلَّ المشتغلين بعمل هذه المواد ونقلها لا يقلُّون عن خمس مئة نفس ايضاً . واذا حسبنا ان ثلث ثمن المصنوعات هو ثمن المواد الاصلية وثلثها اجرة الصنَّاع والثلث الباقي للادارة ورأس المال وجدنا انهُ يخرج من هذه الورشة الصغيرة في السنة مصنوعات ثمنها ٩٠٠٠٠ جنيه وهي جارية في عملها من غير صوت يسمع مع انهُ يعيش منها نحو الف بيت من بيوت السكان

تدخل هذه الورشة فلا تجد فيها رجلاً اوربيًّا ولا شيئاً من اوربا الاَّ آلات الخياطة وآلة او اكثر لتفصيل الجلد والابَر والمسلات والمخارز وشيئاً من النسيج القطني الذي لا يتغلغل الماء والقفلين الذي تسدُّ بهِ الزمزميات والحديد الذي يستعمل في ما يصنع فيها وما عدا ذلك فوطني من حاصلات البلاد ومصنوعاتها وهو كثير جدًّا

ولا بدَّ ما تكثر الورش رويداً رويداً ما دامت المصنوعات الاوربية غالية الثمن . ومتى كثرت وتمرَّن صناعها على سرعة العمل بالمزاولة صارت تستطيع ان ترخِّص مصنوعاتها وتناظر بها المصنوعات الاوربية . وستبقى البلاد زراعية ويبقى اعتمادها على الزراعة ولكنها تستعين بصناعتها على الاستغناء عن كثير من المصنوعات الاوربية

كواشف الماس

للماس كواشف كثيرة يتميز الصحيح بها من الكاذب اي الطبيعي من الصناعي ولكن الواحد من هذه الكواشف قد لا يفي بالمراد تماماً فلا بدَّ من امتحان الماس واختباره بكلّ

ما يستطاع منها ولاسيما ان الغش في هذا الباب على ازدياد كل يوم اذ يؤخذ بعض انواع الحجارة البرّاقة وينظم ويصقل ثم يعرض على السوق ماساً فيشترى ويباع كأنهُ ماس ولا يردُّ لشدة قربهِ من حجارة الماس الحقيقية وشبهِهِ بها حتى لا يفرق بين الفريقين. وقد تمتحن هذه الحجارة الكاذبة بكاشف اوكاشفين من هذه الكواشف فتجوز الامتحان سليمة على ما بها من غشّ ولكن كلما مرت بامتحان جديد اتضح امرها فاما ان تنقى تنقية الدرهم الزائف واما ان تعدّ وتدخر اذ خار المعدن الكريم

من اقدم هذه الكواشف امرار حجر الماس الذي يراد امتحانهُ على لوح من زجاج يدعوى ان الماس الحقيقي يخدش الزجاج لانهُ اقسى منهُ والكاذب لا يخدشهُ . وهذا وهم استولى على الاذهان حتى اذهان العارفين زماناً ثم ظهر بطلانهُ . فان الماس المقلّد يخدش الزجاج ولكنهُ لا يقطعهُ اما الماس الحقيقي فاذا أُمرَّ على لوح زجاج ولو امراراً خفيفاً احدث فيهِ ثلماً عميقاً الى حدّ ان يمكن فصل اللوح قطعتين مكان الثلم لاقلّ ضغط يأتيهِ

ومن اقدم الكواشف المبرد فانهُ لا يؤثر اقلّ تأثير في الماس الحقيقي ولكنهُ يبرد المقلّد بسهولة

ومنها ان يوضع الحجر الذي يراد اختبارهُ بين قطعتين من النقود ويضغط بهما فان كان حقيقياً لم يؤثر الضغط فيهِ والاَّ فقد تسحق اطرافهُ

وهناك كواشف اخرى لا بأس بذكر بعضها اذا كان الحجر نقياً وجافاً ضع على وجههِ نقطة ماء صغيرة ثم خط ابرة او دبّوساً وحاول ازالة النقطة عنهُ فان كان حقيقياً فانك تستطيع ان تجيلها عليهِ من غير ان تتقسّر والاَّ انتشرت على وجههِ وتفرقت كل مفرق حالما يمسها رأس الدبوس او الابرة

ومن احسن الكواشف ان تؤخذ كاس ماء و يلقى الحجر فيها فان كان حقيقياً ظهر في الماء واضحاً جلياً والاَّ ظهر غير واضح الحدود وربما تعذرت رؤيتهُ بوضوح الاَّ بصعوبة كثيرة

ومنها ان تنقط نقطة حبر على ورقة بيضاء و يوضع الحجر امامها على بعد ربع بوصة عنها . فان كان حقيقياً رئيت النقطة بجلاء والاَّ رئيت حالة نقط طامسة الاثر

ومنها خذ قطعة من قميص فيهِ خطوط حمراء او بيضاء وأمرر عليها الحجر . اذا كان حقيقياً لم تؤثر ما تحتهُ من الالوان والاَّ شفَّ عما تحتهُ ورأيت الالوان كما هي

والغالب ان وجوه الحجر الصحيح لا تقطع على شيء من الاتقان والهندسة اللذين يريان في المصطنع . وسبب ذلك ان الماس يباع بالوزن فلذلك يبذل صيقلهُ جهدهُ للمحافظة على

شكلهِ الاصلي ما استطاع غير مبالٍ بالذوق الهندسي ولا مراعٍ قواعدهُ . اما في الحجر المصنوع فلا حاجة الى شيءٍ من ذلك فلذلك ترى صانعهُ يبالغ في اتقانهِ وتنظيمهِ وقطع وجوههِ متناسقة منتظمة ما شاء التناسق والانتظام

على ان كثيرين من الجوهريين لا يحتاجون الى شيءٍ من هذه الكواشف لمعرفة الماس الحقيقي من غيرهِ بل يكفي الواحد منهم ان يمسّ الحجر براس لسانهِ بدعوى ان الحجر الحقيقي يكون دائماً ابرد من الكاذب الى درجة يشعر بها . هكذا يقولون

وهناك كاشف يحسن ان يجرّب لان الخبيرين يفضلونهُ على ما سواهُ وهو ان يؤخذ قلم من معدن الالومنيوم ويعلّم بهِ على الحجر الذي تراد تجربتهُ ثم يمسح الحجر بشدّة بخرقة بلولة فان كان حقيقياً زالت العلامة حالاً والاَّ فهو مصطنع لان الالومنيوم يترك في الزجاج وسائر المواد التي فيها سلكا اثراً لا يزال بالمسح ابداً . وقد تصعب ازالتهُ بالحوامض الأكالة

ونختم هذا الفصل بالاشارة الى مزية للماس الحقيقي على غيرهِ وهي مزية اللمعان الفصفوري كما يسمّونهُ . وذلك ان يؤخذ حجر ماس ويعرّض لنور مصباح كهربائي من النوع المعروف باسم القوس الكهربائية ثم يفرك بشدة على قطعة من الخشب او المعدن ويؤخذ الى مكان مظلم فيرى باهر اللمعان . اما اذا كان كاذباً فلا يظهر فيهِ شيءٌ من ذلك

عيدان الكبريت

في السوق المصرية اصناف كثيرة من عيدان الكبريت . فمنها الانكليزية ومنها الاسوجية ومنها انواع تصنع بلا فوصفور وانواع تصنع بلا كبريت . والصنف العادي منها يصنع من الفصفور وملح البارود والرصاص الاحمر وتترات الرصاص . ويدخل في تركيبها بعض مركبات المغنيسيا والصمغ او الغراء . والغالب ان تصنع كما يأتي :

تؤخذ اجزاء معلومة من المواد المتقدم ذكرها ويذاب الغراء على درجة الغليان ثم يضاف الفوصفور اليهِ شيئاً فشيئاً وهو يحرّك ثم يضاف ملح البارود والمادة الملونة ويترك هذا المجبون على حرارة لا تزيد عن ٣٧ سنتغراد . فتؤخذ العيدان بعد ان تكون قد غمست بالكبريت ثم تغطس رؤوسها بهذا المجبون وتترك حتى تجف

اما العيدان الانكليزية فتغطس في مجبون يحتوي على غراء وفصفور وكلورات البوتاس وزجاج مسحوق . واما الاسوجية فتغطس في مجبون مؤلف من الزجاج والغراء وبكرومات البوتاس وكلورات البوتاس واكسيد الحديد والمغنيسيا والكبريت

زجاج لا يتكسر

استنبط المستر فرنك شومان (الذي وضع الآلة البخارية الشمسية في المعادي بمصر) الواحاً من الزجاج لا يخرقها الرصاص اذا أُطلق عليها ولا تتكسر اذا رميت بحجر بل يندفع الحجر عنها كما تندفع كرة من الكاوتشوك ولكن اذا ضرب الفوح منها بمطرقة ضربة عنيفة فقد تظهر فيهِ شقوق دقيقة ولكن لا تنفصل قطعة منهُ

والسر في هذا الزجاج ان كل لوح منهُ مؤلف من لوحين بينهما ورقة من السلولويد . وورق السلولويد هذا يجب ان يكون رقيقاً جدًّا حتى لو جُمعت الف ورقة منهُ الواحدة فوق الاخرى ما زاد سمكها كلها على بوصة واحدة اي انهُ مثل ورق السيكارة وهو حينئذٍ شفاف تماماً فلا يحول دون شفافية لوحي الزجاج ولكنهُ يمنع انكسارهما

مشمعات الفلين

المشمع نسيج يدهن بالكاوتشوك لكي لا يخرقهُ المطر لكنهُ يكون ثقيلاً و يمنع نفوذ الهواء ايضاً فيتعب لابسهُ . وقد صنع احد الفرنسويين الآن نوعاً جديداً من المشمع ينفذهُ الهواء ولا ينفذهُ الماء ولا تثقل بهِ المنسوجات . وكيفية عملهِ ان تُقص من الفلين اوراق رقيقة جدًّا وتوضع في محلول كحولي يزيل الراتينج منها حتى تصير لينة جدًّا لا تنقصف معا طويت ودعكت . ثم توضع هذه الاوراق بين طبقين من النسيج القطني او الصوفي فيصير منها نسيج مانع لنفوذ الماء وغير مانع لنفوذ الهواء

المركبة السلسلية

شاع منذ عهد قريب ان الالمان استخدموا في حرب الالمان اوتوموبيلات مدرعة ثقيلة جدًّا يدور عجلها خمس سلاسل من العوارض المتصل بعضها ببعض حتى لا تغوص في الارض بثقلها . ولعلهم نسوا ان مخترع هذه السلاسل التي يدور فيها العجل رجل سوري من نزلاء هذا القطر وهو نظراجه اسكندر نصره ولكنهُ لم يعرف كيف يستفيد من اختراعهِ . وقد قرأنا الآن في مجلة العز للعامة الاميركية ان هذه السلاسل استعملت في المركبات العادية ايضاً التي تستخدم في الاعمال الزراعية حيث لا تصلح الطرق لسير عجلات المركبات العادية

الصيد بالمصّ

استنبط رجل من اهالي هولندا طريقة لصيد السمك بالمصّ وذلك انهُ يطرح في الماء شبكة من الاسلاك المعدنية مصنوعة كالسلّة الكبيرة الواسعة من فمها و يعلق في داخلها عند طرفها الضيق مصباحاً كهربائياً و يكون على مقربة منهُ انبوب متصل بآلة معاصة في السفينة . فاذا رأى السمك المصباح دخل هذه الشبكة الى ان يصل اليهِ فيمتصهُ الانبوب المصاص و يصعدهُ مع الماء الصاعد فيهِ الى برميل كبير في السفينة . والماء ينصب من انبوب في جانب البرميل و يبقى السمك فيهِ

راية دائمة الخفوق

صنع احد الاميركيين راية منسوجة من اسلاك معدنية دقيقة ملونة بالوان الراية الاميركية اي في زاويتها العليا النجوم وما بقي منها قدد حمراء و بيضاء فاذا رُفعت على عمود لم تنفك تخفق من نفسها ولو كانت الريح هاجعة لا تتحرك

اتومويل كالعقلاء

ان باعة الخبز وباعة اللبن في بعض مدن اوربا واميركا يقتنون خيلاً تجر المركبات التي يضعون فيها الخبز او اللبن وتسير وحدها من غير سائق وتقف امام بيوت الزبائن من نفسها حتى يأخذوا منها ما اعتادوا اخذهُ يومياً من الخبز او اللبن . وقد صنع الاميركيون الآن اتومويلاً لنقل الخبز واللبن ووضعوا فيهِ آلة تسيّرهُ من نفسها وتقف بهِ على مسافات محدودة حيث بيوت الزبائن الذين يأخذون حاجتهم منهُ فيجري في سيره ووقوفهِ مجرى العقلاء

الديدبان الهوائي

الديدبان الحارس الذي يحرس الجنود وقد استنبط رجال هذه الحرب ديادبة هوائية يركبون البالونات ويقيمون في اعالي الجو وراء خطوط جنودهم والنظارات في ايديهم والاسلاك التلفونية ممتدة منهم الى المدفعية فاذا رأوا شيئاً يريبهم في خطوط العدو اخبروا المدفعية بهِ حالاً حتى يقضوا عليهِ قبل ان يستفحل امرهُ

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحاً ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المنتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والمنظور مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوَّلة

واجب ادبي

وانتحال المعاني الشعرية

لقد كاد يعدُّ الاطلاع على آداب الغرب جريمة وتهمة في اعين الادباء اذ انهُ مظنة السرقة وذلك لان بعض الشبان لا يدين بدين الملكية في الآداب. ان العقول مثل التربة تحتاج الى ان تتعهد بما يظهر خصبها. والاطلاع من الوسائل التي تظهر خصب العقول. ولا ينكر احد ان العقول تتطبع بما تطلع به فينشأ من ذلك الابتداع والتوليد اذ ان للعقول تنقيحاً مثل تلقيح الاشجار فيوسع الفكر ويغني الملكات ويبعث على الابتداع ولكن هناك طريقاً اقل مؤونة واعني نقل الشيء وادعاءهُ. ولو كانت المسألة التي اتكلم فيها تافهة لما تعرضت لها ولكنها تشمل قصائد ومقالات كثيرة تسيء ظن الناس باهل العلم والابتداع وتبعث على الفوضى في العلوم والآداب. وقد شاعت حتى لم يعد يمكن كتمانها. على ان كل اديب حارس من حراس الادب ومن واجبهِ ان لا يغفل عن حراستهِ

وهناك دافع آخر دفعني الى الكتابة واظهار هذه المآخذ وهو الرغبة في اظلاص من مظان الريب فقد اعتاد بعض الناس ان يقرن اسمي الى اسمي المازني والعقاد للمودة التي بيننا ولكنها مودة لا تحمل كل واحد منا عيوب اخيهِ فحسب المرء منا ان يحمل عيوب نفسهِ ولكن الجمهور لا يستخدم المنطق في كل رأي يراهُ

ان المودة التي بيني وبين المازني قديمة ومن اجل ذلك لم اكن اعرف كيف يسوغ لي ان اكتب هذا المقال ولكني شرحت الاسباب التي دعتني الى الكتابة فان المسألة ليست هينة ومثل هذا الواجب ينبغي ان يكون فوق المودة منزلة. فقد شاع بين الادباء ان المازني قد اخذ بعض قصائد كاملة من شعراء الغرب وافكار متفرقة غير اني لم اتنبه الى هذه التهمة

واهديت اليهِ الجزء الثالث من ديواني علامة على ثقتي ومودتي ولكن احد الادباء لفتني الى قصيدة (نبي في سياق الموت) في ديوان المازني وهي مأخوذة من قصيدة لتوماس هود الشاعر الانجليزي . ثم لفتني آخر الى قصيدة (قبر الشعر) في ديوانهِ فاذا هي للشاعر هيني الالماني . وقد كنت اقرأ عرضاً في تنيسون الشاعر الانجليزي فرأيت فيهِ قصيدة الذكرى التي قال المازني انها لهُ ثم ارسل اليَّ المازني بعد ذلك قصيدة (الوردة الرسول) فاذا هي للشاعر ولر الانجليزي . ونشر في جريدة عكاظ قصيدة (الراعي المعبود) فاذا هي للشاعر لويل الامريكي . وبينما كنت احادث احد الادباء في شعر المازني وهو الاديب امين افندي مرسي لفتني الى قصيدة المازني اليائية التي سماها الشاعر المحتضر فاذا هي من قصيدة « اودبني » لشلي الشاعر الانجليزي وهي التي قالها في رثاء كيتس . ورأيت بعد ذلك قصيدة (شوكة الحسن) فاذا هي لهيني الالماني

ومن الغريب التزام المازني الدقة في الترجمة فان هنري هيني يقول لحبيبتهِ « صرتِ تدعينني العزيز هنري » فقال المازني « العزيز المازني » . وقد نبهت المازني الى هذه القصائد فاعترف انها ليست لهُ ولكنهُ قال انهُ نظمها وهو يظن انها لهُ ذلك لانهُ حفظ المعاني ونسي انها لغيرهِ . فبينت لهُ ان الابيات والمعاني متسلسلة والترجمة دقيقة جداً . فاصر على فكرتهِ السيكولوجية وقال ان ذلك جائز في علم السيكولوجيا ولكنهُ وعد ان يتجنب امثال هذه المآخذ في المستقبل

ولا اعرف كيف يوفق بين تعليلهِ لهذه المآخذ ووعدهِ بتجنبها في المستقبل ولم يفِ اذ انهُ بعد ذلك انشدني قصيدة (اكليل الشوك) و (الغزال الاعمى) وهي ايضاً من هذه المآخذ . وبينما كنت اقلّب مجلة البيان وجدت مقالاً طويلاً عنوانهُ (تناسخ الارواح) منسوباً الى المازني فاذا هو مأخوذ من اولهِ الى آخرهِ من مقالات ادسون الكاتب الانجليزي الشهير في مجلة السبكتاتور . ثم اطلعت على مقالات المازني في ابن الرومي والجزء الاكبر منها ليس في ابن الرومي بل في العبقرية والعظماء فاذا اجزاء كبيرة منها مأخوذة بعضها من كتاب عنوانهُ (شكسبير) تأليف فكتور هيجو الشاعر الفرنسي وبعضها من مقالات كارليل الادبية . فنبهت المازني الى ذلك فقال ماذا اصنع اذا كنت اكتب الشيء ولا اعرف انهُ ليس لي هل اطوف على الناس اسألهم هل رأوهُ قبل (هذه كلمة من رسالة بعث بها اليَّ)

اما مقالة (تناسخ الارواح) فانهُ قال ان صاحب مجلة البيان نسي ان يذكر انها منقولة وكذلك قال ان صاحب البيان نسي وضع الاقواس حول القطع المنقولة في مقالات ابن الرومي . وليس الامر مقصوراً على ما ذكر فان احد ادباء مصر وهو مصطفى افندي علوه

كان قد جمع كتاباً ذكر فيه مآخذ كثيرة زعم ان المازني اخذها من كتاب واحد فقط وهو كتاب « الذخيرة الذهبية » في الشعر الانجليزي ولم اتمكن من رؤية كتاب هذا الاديب ولكن احد اصدقائنا وهو محمد افندي جلال رآه فقال للمازني انهُ لو تعمد الترجمة لما وجد احسن مما جاء به في تلك المآخذ

وقد جمعنا مرة مجلس فاخذ احد الادباء الافاضل وهو عبد الحميد افندي العبادي ديوان المازني وكتاب الذخيرة الذهبية الانجليزي وجعل يقارن بين ابيات المازني وابيات الذخيرة حتى ادهش الحاضرين . وقد ارسل اليَّ المازني قصيدتهُ التي عنوانها (الاقدار) واذا جزء منها مأخوذ من قصة (قابيل) للشاعر الانجليزي اللورد بيرون ولا سيما قول المازني

الغرس في الفردوس اثمار نقمة ويكر ان تنشا منى وطلاب

الى آخر القصيدة . وبينا اقلب ديوان بيرون الذي عند المازني رأيت قطعاً من شعر بيرون قد وضع المازني بجانبها علامات فقرأت شيئاً من هذا الشعر فاذا هو في شعر المازني في قوله

وما ان تنام العين لكن اخالها تدير بقلبي نظرة حين ارقدُ

وهذا موجود في اول قصة « منفرد » للشاعر بيرون . وبينا اقلب ديوان المازني كي اكتب منهُ هذا البيت في هذا المقال وقع نظري على قوله

لا تخشَ اشجاني اذا اشتجرت او لست تركب هائل الشجنِ
القلب يمٌ لا قرارَ لهُ جمُّ العواصف مزبد القننِ
لكنَّ في اغوارهِ دوراً ولآلئا ابقى من الزمنِ

فاذا هي منقولة بدقة من اغاني هيني . وقد لقيني العقاد الى قصيدة في شعر المازني قال انها منقولة بدقة من شعراء الغرب ولكن لا اتذكرها

ولا اريد ان اذكر مآخذ المعاني المفردة والابيات المتفرقة ولو شئت لذكرت ابيات المازني الرائية المأخوذة من قصيدة سوتي الشاعر الانجليزي في وصف العالم والكتب واشياء كثيرة من مثال ذلك ولكن اكتفي من هذا المقال بذكر ما قدرت ان احصيهُ من المقالات والقصائد التي اخذت كاملة . ولو كان الامر مقصوراً على ابيات قليلة منفردة لما رأيت فرضاً عليَّ ان اكتب هذا المقال

هذا واوكد لصديقي المازني أني اجلهُ واوده بالرغم من ذلك وادع للقارئ ان يحكم المصيب ام مخطئ انا في اظهار ما اظهرت . وليس لي ان اعلل هذه المآخذ او ان اتهم المازني بانهُ تعمد اخذها

عبد الرحمن شكري

[المقتطف] ان كان المازني قد ابدع في اقتباس المعاني من شعراء الغرب وسبكها في قالب عربي متين فشكري لا يقلّ عنهُ ابداعاً في اكتشافهِ معادن تلك الجواهر . والرجلان فارسا بيان . وقد يحتمل ان يكون المازني استظهر ما قرأهُ من دواوين اولئك الشعراء ثم نظم ما نظمهُ وهو يحسب ان معانيهم لهُ وذلك من اندر النوادر ولكن لا شبهة عندنا في انهُ لو صرّح ان المعاني لغيرهِ ردلّ على مآخذها وظهرت مقدرتهُ في ترجمة الشعر بالشعر لما كان ذلك اقلّ دلالة على فضلهِ من ابتكار تلك المعاني . وان كان صاحب هذه الرسالة على ثقة تامّة ان المعاني التي اشار اليها مقتبسة كلها من شعراء الغرب وكتّابهِ فلهُ فضل كبير في الدلالة على مآخذها وفي لومهِ من ينتحل معاني غيرهِ متعمداً لانهُ انما قصد بهذا القول ان يزيد حرص الكتّاب على الاعتراف بفضل الذين ينقلون عنهم او يقتبسون منهم

باب التقريظ والانتقاد

Mohammedan Theories of Finance

في جامعة كولمبيا باميركا لجنة للعلوم السياسية تهتم بترجمة الكتب الموضوعة في السياسة وما يتعلّق بها . ومن الكتب التي نشرتها حديثاً هذا الكتاب وهو في الخراج وما يتصل بهِ كالزكاة والجزية والفيء وبيت المال والصدقات وما اشبه . وقد رضمهُ الدكتور ليقولا اغنيدس من تلامذة القسطنطينيّة جامعاً ابوابهُ من امهات الكتب العربية في الفقه والحديث والتفسير كالرسالة للشافعي وتقويم الادلّة للدبوسي والمعتمد للبصري والبرهان لامام الحرمين والاصول للسرخسي والاحكام لسيف الدين الاحمدي . وظهير الرواية للشيباني والجليل الشرعيد للصدّاف والمختصر للطحاوي والمنتقى للباجي والمحيط للسرخسي والهداية للمرجناني والمختار للموصلي والموطإ لمالك ومسند الامام احمد بن حنبل وصحيح البخاري وسنن الدارمي وجامع مسلم وسنن داود وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه القزويني ومصابيح البغوي وتفسير الطبري وكشاف الزمخشري ومفاتيح الغيب للرازي وانوار التنزيل للبيضاوي وتفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي عدا كتب التواريخ والترجمات المختلفة

والكتاب كبير يقع في ٥٠٠ صفحة لم نطالع صفحة منهُ الاَّ رأينا فيها بحثاً دقيقاً وجمعاً وتفصيلاً قلَّ رأينا ما يضارعها في كتاب آخر حتى لقد جئنا نرتاب في تقدير فائدة هذا الكتاب في جنب ما أُنفق على جمعهِ وتبويبهِ من العناء ونشر ذلك بالانكليزية بدل العربية. لكن علماء الاوربيين والاميركيين يعنُّون بكل ما يعرف عن غيرهم ولو بطل العمل بهِ وصار من مباحث التاريخ

هذا واننا نهنئُ الدكتور اغنيدس بنجاحهِ في تأليف هذا الكتاب وحبذا لو استطاع أن يلحق بهِ بعض الاحصاءات عن ماليات الدول العربية في عهدها للاستدلال على مبلغ الحضارة والثراء فيها وان يلحق المصطلحات العربية بالاصل المنقولة عنهُ للاستدلال على ما اتبعهُ العرب من غيرهم في تنظيم امورهم السياسية والاقتصادية كالزكاة مثلاً فانها من كلمة يونانية معناها العشر فنظامها منقول عن الروم

ثورة العرب

ظهر في خلال شهر ديسمبر الماضي هذا الكتاب مطبوعاً في مطبعة المقطم وهو من الم « احد اعضاء الجمعيات العربية » بحث في مقدمات ثورة العرب واسبابها ونتائجها فتكلم عن الحرب الاوربية والشرق والمسئلة الشرقية وفروعها . والمسئلة العربية وادوارها . والعرب والترك في الماضي . والعرب والاتحاديين . والاتحاديين والاسلام والعرب . والمبايعة بالملك على العرب الى غير ذلك من المواضيع المتفرعة عن هذه المسئلة

وقد صدَّرهُ بخريطة كبيرة لبلاد العربية واهداهُ « الى ارواح شهداء الوطن » الذين قتلهم الاتحاديون . وهو مكتوب بلغة صحيحة ومطبوع طبعاً متقناً . وجميع ما تضمنهُ يدلُّ على انهُ بقلم كاتب كتب ما عرف بالخبرة . وهذا افضل ضمان على الصدق والصحة

الجوع والمجاعات

بحث ادبي تاريخي اجتماعي القاهُ حضرة الكاتب الفاضل نطور افندي الجميّل في نادي الاتحاد السوري بالقاهرة مساء ٢٥ نوفمبر الماضي وقدمهُ الى رؤساء الطوائف واعضاء اللجان في مصر والخارج والمتبرعين بالمال لمساعدة الذين نكبوا بالمجاعة في سورية . فكتب فيهِ عن اسباب المجاعات وتاريخها الصحيح والخرافي وتعريف الجوع ومجاعة سورية ولبنان فاجاد وافاد

المجلّة العربية

مجلّة جديدة ظهرت في مدينة نيويورك باميركا رئيس ادارتها الدكتور سليم افندي شحاده جورج اندمجت فيها مجلة قديمة اسمها العالم الجديد مديرها خليل بك الاسود وقد جاءتنا منها العدد الاول بعد اندماج المجلتين وفيه مقالتان عن التجارة السورية واهم ما تحتاج اليه ومقالة تاريخية في ان احد امبراطوري الرومان كان سوريًّا ومقالة من سلسلة مقالات في صحة السوري في المهجر وتبذ اخرى ادبية . ومن ذلك خمرية من نفيس الشعر لابليا افندي ابي ماضي وهي قوله

هات اسقني بالقدح الكبير صفراء لون الذهب المصهور
كأنها سيلي اكؤس البلور شعلة نار في بقايا نور

***

اما ترى الكأس التي تحويها تكاد ان تجري الحياة فيها
لو لم يدرها بيننا ساقيها دارت على القوم بلا مدير

***

بنت الدوالي زوجة السحاب اخت التصافي ضرّة الرضاب
انت وان لام الورى شرابي في الخالدين القرّ والمجير

***

هات اسقنيها مثل عين الديك صافية تنبض بالصعلوك
حتى يرى النيه على الملوك ولا يبالي سطوة الامير

***

ثم حانها باهرة الضيآء اسماؤها ملبكة الاسماء
تستنزل الوحي من السماء وتنزع الغلّ من الصدور

***

اشربها بل اشرب الاكسيرا تخلق في شاربها السرورا
فقل لمن يحبها غرورا ما العيش الاّ ساعة الغرور

والمقالات باقلام جماعة من نوابغ الكتاب فمقالة الدكتور فيليب حتي وموضوعها صفحة مطوية من تاريخ استعمرنا ومهاجرتنا تباهي بنشرها ارقى المجلات التاريخية . ومقالة الدكتور رشيد نقي الدين في حياة السوري الاجتماعية على ما فيها من الايجاز تشير الى اسهاب منتظر وما فيها من التلميح يدل على تصريح واجب نحسن ان يشفعها بمقالات اخرى من بابها و يصرح بما يفعله رجال الدين الذين حملوا التعصب على ظهورهم وبين ايديهم وجروا به وراء السوريين الى اميركا الشمالية والجنوبية

وكذلك مقالة خليل بك الاسود التي موضوعها تجارتنا في المهجر فانها تستدعي زيادة الاسهاب في هذا الموضوع لشدة لزومه وفائدته . ومقالة الدكتور فؤاد شطاره التي موضوعها صحة السوري في المهجر حرية بان تطالع بالاهتمام التام . ومقالة السيدة فكتوريا طنوس وموضوعها لماذا لا اتزوج في اميركا حرية بالنظر

ويظهر لنا مما طالعناهُ في هذه المجلة ومما يأتينا من الرسائل من اميركا الشمالية والجنوبية ان السوريين المهاجرين اخذوا يشعرون بافتقارهم الى ما يصلح شؤونهم في مهاجرهم و يساعدهم على مجاراة ارقى الامم التي قُسم لهم ان ينزلوا بلادها ولاسيما بعد ان كاد رجاؤهم ينقطع من اصلاح بلادهم الاصلية للعودة اليها . والمجلات والجرائد من خير الذرائع لارشادهم الى ما يجب العمل به حتى يتمثلوا بانجح الاقوام الذين نزلوا بين ظهرانيهم وقد يضطرون ان يساكنوهم و يجاروهم هم واولادهم الى ما شاء الله

صرائح المستغيثين

من ابناء الشرقيين

الف هذا الكتاب بالانكليزية الدكتور زويمر المرسل الاميركي في هذا القطر وعربهُ الشيخ متري صليب الدويري . وترجمة عنوانهِ بالانكليزية « الاطفال في العالم الاسلامي » ومدار بحث كاتبهِ فيهِ على اطفال المسلمين واحوالهم الصحية وتربيتهم العقلية والادبية والدينية . وقد زين بصور تمثل العاب اولاد البدو وبنات ينسجن سجادة تركية واطفال جاوة يضفرون البرانيط وشابة مسلمة من الحبشة وغير ذلك

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ أوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف ونشترط على السائل (١) ان يمضي مسألته باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله البنا فليكرّره سائلاً فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كان

(١) مبدأ منرو

مصر · يوافيم افندي فرج · ما هو مبدأ منرو

ج · لما كان المستر جمس منرو رئيساً للولايات المتحدة الاميركية خاف من ان اتحاد الدول الاوربي المعروف بالاتحاد المقدس يحاول اعادة المستعمرات الاسبانية في اميركا الجنوبية الى اسبانيا فكتب الى مجلس النواب ومجلس الشيوخ في دسمبر سنة ١٨٢٣ رسالة قال فيها « ان الفرصة السانحة الآن وُجدت مناسبة لتقرير ما يأتي كمبدإ ترتبط به حقوق الولايات المتحدة ومصالحها وهو ان القارتين الاميركيتين بما لهما من الحرية والاستقلال تعتبران من الآن فصاعداً غير معرّضتين لاستعمار [illegible] الاوربية في المستقبل » الى ان قال « اننا لم نشترك قط في حرب نشبت بين الدول الاوربية متعلقةً بمصالحها ولا يوافقنا ان نشترك فيها ولكن اذا اعتُدي على حقوقنا او هُدّدت تهديداً خطيراً عواقبهُ فحينئذٍ نطلب منع الشرور او نستعد للدفاع · · · وعندنا ان كل محاولة من قبل الدول الاوربية لادخال نظامها السياسي الى اميركا تعرّض سلامنا وامننا للخطر · ولا شأن لنا في المستعمرات التي تمتلكها الدول الاوربية الآن ولكن ليس الامر كذلك من حيث الحكومات الاميركية المستقلّة التي اعترفنا باستقلالها بعد إمعان النظر والروية بل اننا نحسب كل تعرّض لشؤنها قصد التضييق عليها او التحكم فيها تصيره اليه عداء للولايات المتحدة · ويستحيل على دول التحالف الاوربي ان تدخل نظامها السياسي الى قسم من اميركا الشمالية او الجنوبية من غير ان تعرّض سلامنا وسعادتنا للخطر »

[illegible] تقوية الدم

ومنهُ · ما هو احسن شيء يأخذهُ الانسان لكثرة الدم

ج · يظهر انكم تريدون تقوية الدم اي صحتهُ وجودتهُ لا كثرتهُ · وجودة الدم تتوقف على كثرة الكريات الحمراء فيهِ وسلامتها

وسلامة الكريات البيضاء وكون النسبة بينهما معتدلة فالكريات الحمراء تنمي الجسم وهو في سن النمو وتعوضهُ عما يندثر منهُ . والكريات البيضاء تحميهِ من عوادي الادواء ومتى ورث الانسان بنية سليمة قوية من والديهِ وعاش عيشة صحية لا افراط فيها ولا تفريط بقي دمهُ سليماً كافياً لانماء جسمهِ وتقويتهِ ودفع الادواء عنهُ والاَّ فاذا اورثهُ والداهُ جسماً سقيماً ضعيفاً او اذا انهك جسمهُ بالافراط والتفريط سهل تسلُّط الادواء عليهِ وقد تقوى كريات دمهِ البيضاء وتفترس الكريات الحمراء ويصير اقل شيء يؤذيهِ لان لا واقي في جسمهِ يقيهِ

(٣) اصل المهر والباءة

اسيوط . ثابت افندي جرجس بشاي . لماذا يدفع الشرقي مهر العروس اذا اراد الزواج بعكس الغربي فان العروس هي التي تدفعهُ

ج . ان العادة الشرقية قديمة مبنيَّة على حسبان الاولاد ملكاً لوالديهم فيبيعوا بناتهم بيعاً . وقد كان ذلك شائعاً عند اليونان والرومان كما لا يزال شائعاً في اكثر البلدان الشرقية . وقد شاع من قديم الزمان ايضاً ان يعطي البنت ابواها مالاً حين تزويجها كما يعطيان ابنهما مالاً للاشتغال بهِ واسمهُ الباءة وقد جاءت النصوص على ان هذه العادة كانت معروفة عند العرب في بداءة الاسلام . وقد صار الاعتياض عليها في اوربا لما بطل عندهم كون المرأة خاضعة لسيادة الرجل كاولادهِ وصارت شريكة لهُ في مالهِ فاضطر ابواها ان يعطياها جانباً من المال لهذه الشركة

(٤) الحظ والاجتهاد

ومنهُ قرأت في احدى المجلات ان نجاح الانسان يتوقف على حظهِ اكثر مما يتوقف على اجتهادهِ فهل تصدقون ذلك

ج . ان الاجتهاد ضروري للنجاح ولكن يجب ان يكون في السبيل المؤدي الى النجاح فاذا اردت نقل حجر من شرق دارك الى غربها وشددت بهِ الى الشمال او الجنوب لا ينتقل الى الغرب مهما اجتهدت في شدهِ . وبعد الاجتهاد تأتي الصدف التي لا يستطيع الانسان دفعها او التحكم فيها فاذا اشتدَّ الحرُّ صيفاً حتى حرق المزروعات او البرد شتاءً حتى يبسها فصاحبها يخسر ولا يدفع اجتهادهُ عنهُ خسارة . واذا اصابت الافات القطن الاميركي حتى قلَّ محصولهُ كما قل الآن ارتفع سعر القطن المصري فربح اصحابهُ والمضاربون على الارتفاع ولو لم يجتهدوا وخسر المضاربون على الهبوط مهما اجتهدوا

(٥) المعادن في باطن الارض

ومنهُ . لماذا توجد المعادن في باطن الارض ولا توجد في غيرهِ

ج . انها توجد في سطح الارض كما توجد في باطنها ولكن يرجح ان المعادن الثقيلة اكثر في باطن الارض منها في سطحها لان

الارض كانت مائعة في عصر من العصور القديمة والمواد الثقيلة تهبط نحو المركز اكثر من الخفيفة

(٦) سبب دخول المانيا الحرب

ومنهُ ما هو السبب الوجيه الذي من اجلهِ دخلت المانيا في الحرب. الظنون انها دخلت لكي تقرض الضعيف او لان مستعمراتها اقل من مستعمرات انكلترا وفرنسا فهي لا تكفي مملكة احد عدد سكانها في النمو والتقدم السريعين

ج. لم تقصد المانيا ان تقرض الشعوب الضعيفة بل ان تستولي عليها وحينئذٍ اما ان تصلح شؤونها وتراقي اذا كان فيها استعداد للارتقاء واما ان تفترض من نفسها كما يفترض الضعيف من امام القوي اذا تنازعا البقاء. واغراض المانيا كثيرة وقد شرحناها بالاسهاب في مقالات كثيرة من بداءة الحرب الى الآن فراجعوها

(٧) التقيد بالقوانين الدولية

ومنهُ كيف يرجع التقيد بالقوانين الدولية اذا شبت حرب اخرى في المستقبل بعد [illegible] المانيا في هذه الحرب ولم تتقيد بها

ج نحن نرى ان اميركا وانكلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا من الدول التي تحترم القوانين الدولية وتحافظ عليها ومن المحتمل ان المانيا انما هي الدولة الوحيدة التي لا تحترم هذه القوانين فاذا اتفقت بقية الدول على حفظ القوانين الدولية ومحاربة المانيا اذا لم تحترمها فالمرجح عندنا ان النمسا تكون معهن وان المانيا لا تنفرد حينئذٍ في محاربتهن بل تضطر ان تخضع للحق الذي تؤيدهُ القوة

(٨) انتخاب رئيس الولايات المتحدة

ومنهُ كيف ينتخب رئيس الولايات المتحدة

ج. يعين المرشحون للرآسة عادة في شهر يوليو او اوائل يوليو من سنة الانتخاب ويكونون من الحزبين الديموقراطي والجمهوري ولكنهم لا يعرفون رسميًّا تعيينهم حتى تصل لجنة من المؤتمر الوطني فبلغهم تعيينهم رسميًّا والغالب ان يكون ذلك في شهر اغسطس. وفي آخر هذا الشهر تنبث اللجان التابعة للحزبين في طول البلاد وعرضها تدعو الناس لتأييد حزبها بالخطب والمنشورات التي لا تحصى. وفي اوائل سبتمبر يقام الانتخاب ويدوم الى اوائل نوفمبر اي مدة شهرين

اما الذين ينتخبون الرئيس فليسوا جمهور الامة رأسًا بل ناخبون ينتخبهم الجمهور في الولايات المختلفة في يوم الثلاثاء الاول بعد يوم الاثنين الاول من نوفمبر. وهؤلاء الناخبون يشجعون في عواصم ولاياتهم المختلفة و يصوتون لمن يشاؤون بكتابة اسمهِ على ورقة والقائها في صندوق القرعة. وهذا الصندوق يفتح وتفرز اوراقهُ امام مجلسي النواب والشيوخ. ولا يتولى الرئيس المنتخب منصبهُ رسميًّا قبل الرابع من مارس التالي

باب الاخبار العلمية

وفاة فلكيّ معروف

توفي في نوفمبر الماضي الاستاذ پرسيفال لول مدير مرصد لول المشهور في ولاية اريزونا باميركا وله من العمر ٦١ سنة . ولد في مدينة بوستن سنة ١٨٥٥ وحاز شهادة جامعة هارفرد سنة ١٨٧٦ والف بضعة كتب عن اليابان حيث أقام مدة طويلة . على ان اشهر كتبهِ كتاب في « المريخ » نشرهُ سنة ١٨٩٥ . وآخر في « النظام الشمسي » وآخر « في المريخ وترعهِ » . وآخر في « الحياة في المريخ » . وآخر في « نشوء العالمين » . وسنة ١٩٠٢ عين استاذاً للفلك في احد المعاهد العلمية بولاية مستشوستس وسنة ١٩٠٤ منحتهُ الجمعية الفلكية الفرنسوية مدالية جنسن جزاء مباحثهِ في المريخ . وقضى الخمس والعشرين سنة الماضية منقطعاً للفلك فاشتهر شهرة التهُ عن استحقاق بحثهِ في الخطوط التي ترى في السيارات وبالاستنتاجات الغريبة التي بناها على هذا البحث . ومهما يقل في امر تلك الاستنتاجات فلا مشاحة في انهُ خدم علم الفلك خدمة جليلة بغيرتهِ الفائقة عليهِ واجتهادهِ والصدق الذي كان رائد عملهِ وما بذل من التأني والحذر تفادياً من خدع نفسهِ وهو شرّ انواع الخديعة

ومن اعظم الدلائل على اجتهادهِ وحذرهِ ما بذلهُ من العناية باختيار موقع ملائم لمرصدهِ فانهُ نفذ الوفود الفلكية للاستطلاع والاستقصاء هنا وهناك في القارات وجزر البحر وقضى ردحاً طويلاً في سهول المكسيك القاحلة الى ان اختار موقعاً لمرصدهِ قنة جبل من جبال اريزونا علوها ٧٠٠٠ قدم فنصب عليها تلسكوباً عاكساً قطر مرآتهِ ٢٤ بوصة ثم شرع في ارصادهِ المريخية المشهورة التي طال الجدال عليها بين اخوانهِ الفلكيين

وبحث في خطوط عطارد والزهرة بحثاً لا يقلّ عن بحثهِ في خطوط المريخ شأناً فاظهر بالدليل ان كلاً منهما يدور على محورهِ مرة واحدة في اثناء دورتهِ حول الشمس وعيّن بما امكن من الضبط والدقة مركز ذلك المحور من سطح الكرة الذي يرى من الارض . وتناول بحثهُ اورانوس ونبتون واقمار المشتري فكتب فيها الشيء الكثير

ومنذ عهد غير بعيد اضاف الى تلسكوبهِ المذكور تلسكوباً آخر اكبر منهُ قطرهُ ٤٠ بوصة فاثبت بهِ صحة كثير من اكتشافاتهِ السابقة

السير حيرام مكسيم

توفي اواخر نوفمبر الماضي السير حيرام مكسيم من اعظم المخترعين الانكليز ومخترع المدفع الآلي المعروف باسمهِ . ولد سنة ١٨٤٠ في ولاية ماين باميركا وحذق في صغرهِ استعمال الادوات والآلات الصناعية المختلفة ولم يبلغ الاربعين حتى كان اخترع مصايد للفيران وآلات للغاز ومطافئ للحريق وآلات ديناموية ومصابيح كهربائية واشياء كثيرة من هذا النوع الى ان اخترع المدفع الآلي المعروف باسمهِ وهو يطلق ٦٠٠ طلقة من طلقات البنادق العادية في دقيقة واحدة . ثم اخترع مدافع آلية اكبر منهُ بكثير اقتبستها دول اوربا كلها . واكتشف كثيراً في باب المتفجرات ولعلهُ اول مخترع للبارود اللادخاني فيما يقال . وكذلك يقال انهُ اول من ادرك مبدأ طيران الطيارات فانفق مالاً كثيراً في معرفة السرعة الافقية اللازمة لرفع السطوح المائلة . وكانت اعظم عقبة في طريقهِ ثقل الآلة البخارية . فجر اميركا واتحد انكلترا موطناً دائماً لهُ سنة ١٨٨٢ وتجنس بجنسية الانكليز . وانعم عليهِ بلقب سر سنة ١٩٠٠

شوائب الهواء

قامت سنة ١٩١٣ حركة في انكلترا للبحث عن الشوائب التي تشوب هواءها وخصوصاً الدخان قصد تخفيفها فعقد حينئذٍ مؤتمر حضرهُ مندوبون من بلديات انكلترا وغيرهم من اهل الشان وعينت لجنة دائمة لاستئناف البحث في هذا الموضوع . فاتخذت اللجنة مقياساً لقياس شوائب الهواء وهو مؤلف من اناء لجمع ما يقع من ماء المطر في شهر . فاذا انتهى الشهر اخذ الماء وصفي وعلل تحليلاً كيماوياً تعرف بهِ كميات المواد التي يحتويها تماماً من مثل القار وغيرهِ من المواد الكربونية والرماد الذي لا يذوب في الماء والمواد التي تذوب والكلفات والكلور والنشادر . وقد نشرت جريدة اللانست الطبية ملحقاً يتضمن احصاءات مفصلة عن ٣٩ محطة في مدد مختلفة . ويؤخذ منها ان في لندن وحدها ثمانية مقاييس وفي منشستر ١١ مقياساً . والمقاييس اكثر في منشستر منها في لندن بسبب كثرة معاملها وكونها اعظم مدن انكلترا التجارية . واول الاماكن من حيث كثرة الشوائب في هوائهِ وماء مطرهِ مدينة اولدام فقد بلغت في الشهر الواحد فيها ٣٥ طناً في الكيلو متر المربع . ثم مكان في منشستر بلغت زنة الشوائب فيهِ ٢٧ طناً . وآخر الاماكن مكان اسمهُ سلفرن فقد بلغت زنة الشوائب فيهِ طنين فقط . وعلى ذلك يقال اجمالاً على سبيل التعديل ان الهواء الذي يتنفسهُ الانكليز في شتاء واحد يحتوي

في كل كيلو متر مربع على ٥ اطنًا من المواد الجامدة تدخل الرئات بلا استثناء منها ١٥ ر٠ من المواد القطرانية ، و٣ اطنان من المواد الكربونية الاخرى ، و٦ من المواد غير الآلية التي لا تذوب في الماء ، وقدر كبير من الاملاح التي تذوب منهُ ٣ اطنان من الحامض الكبريتيك ، وطنٌ من الكلور و٣ ر٠ الطن من النشادر . ومع ذلك فصحة السكان هناك على غاية ما يرام ولم نرَ في مكان آخر الصحة تتدفق من وجود السكان كباراً وصغاراً ذكوراً واناثًا كما رأيناها هناك

الاحصاء العام في اميركا

من اغرب ما يروى عن الولايات المتحدة الاميركية التي فاقت اوربا في جميع فروع العلوم والفنون نقريبًا ان ليس فيها الآن طريقة وافية لتسجيل المواليد والوفيات التي تحدث فيها كلها وانهُ لا بدَّ من مرور سنين كثيرة قبلما تستكمل العُدَد اللازمة للاحصاء الدقيق . فقد اظهر التحقيق ان ثلث سكان الولايات المتحدة لا تسجَّل وفياتهم وثلاثة ارباعهم لا تسجل مواليدهم التسجيل الوافي . فنشأت عن هذه الحالة مصاعب جمة في امر الزواج والارث وغيرهما من الاعمال الاجتماعية وفي بعض الشؤون الدولية ايضًا فياتت الولايات المتحدة من حيث المسئلة الثانية لا تستطيع القيام بما تفرضهُ عليها المعاهدات الدولية . فهي لا تستطيع مثلاً ان تبلغ الحكومات الاوربية عدد مواليد رعاياها ووفياتهم في جميع ولاياتها . وهذا كلهُ ناشئ عن المبالغة في مبدإ اللامركزية اي ان حكومة الولايات المتحدة التي مركزها في وشنطن لا تعرف عن الاحصاء مثلاً الاَّ ما تبلغها اياهُ الولايات المختلفة . ومعروف ان بعض تلك الولايات لهُ قوانين خاصة بالاحصاء وبعضها ليس لهُ والحكومة المركزية لا سلطة لها على حكومات الولايات المختلفة تجبرها اللواتي ليس لهنَّ قوانين للاحصاء على سنِّ هذه القوانين . فهذه الحالة وامثالها في البلاد التالية في مبدإ اللامركزية حملت بعض الكتَّاب المعروفين على القول بوجوب التقهقر ولو قليلاً عن اللامركزية الى المركزية

اطلاق المدافع والمطر

كثر البحث في علاقة اطلاق المدافع بالمطر ولاسيما ان بعض الكتاب بحث فيها بحث السبب والنتيجة فذهب الى ان اطلاق المدافع يسبب وقوع المطر . ولكننا قلنا في جزء نوفمبر الماضي ما نصهُ : ثبت للعلماء ان لا علاقة البتة لاطلاق المدافع بنزول المطر ومع ذلك لا يزال هذا الوهم مستولياً على العقول في كل مكان » . وقد أرسل بعضهم رسالة الى مجلة ناتشر فنشرتها في عددها

الاخير . ومما قال فيها انها قد تساعد على تبديد هذا الوهم عن علاقة اطلاق المدفع بوقوع الامطار قال

« وصف فلوطرخس معركة جرت مع التوتون سنة ١٠٢ قبل المسيح وقال في تعليقه عليها : وقد لاحظوا ان امطاراً غزيرة تهطل عادة بعد المعارك الكبيرة ولا يعلم سبب ذلك . فاما ان احد الآلهة يريد غسل الارض وتطهيرها بالماء من فوق . واما ان بكثرة انعقاد الابخار ماء في الهواء من كثرة الابخرة المتصاعدة عن الدم والفساد » . هذا ما قالهُ فلوطرخس في تعليل نزول الامطار بعد المعارك الكبرى . ولما كانت المدافع غير معروفة في عهده وانما اخترعت بعده بالف وخمس مئة سنة فلا يمكن ان تكون سبب الامطار التي كانت تهطل بعد المعارك في ذلك العهد »

المخدرات واكتشاف الجرائم

بين الهنود الاميركيين قبيلة اسمها قبيلة زوني لها طريقة غريبة لاكتشاف الجرائم . ذلك ان العرّاف من رجالها يشرب جرعة من احد المخدرات فيفقد رشدهُ ويبيت في غيبوبة يدّعي انهُ يرى فيها صورة تفاصيل الجريمة التي يطلب معرفة وقائعها . فان كانت سرقة رأى مكانها ومرتكبها والاحوال التي حدثت . والزونيون يعتقدون بصدق رؤى العرافين الى حدّ ان اللص منهم اذا اراد السرقة جعل يدخّن ليخفي الدخان هيئتهُ فلا يراها العراف في خلال غيبوبته . اما المخدّر الذي يشربونهُ فاسمهُ حشيشة جايمسون (صنف من الداتورة) والجرعة الكبيرة منهُ شديدة الخطر حتى ان العرّاف الذي يشربها للاهتداء الى الجرائم يعاني البرحاء منها مدة طويلة بعد شربها فيثقل رأسهُ وعيناهُ وتكثر آلام اعصابهِ فلذلك ترى العرافين يتقاضون اجرة كبيرة على عرافتهم ولا يقبلون عليها الاّ في الحوادث الجسام خشية عواقبها

اللبن يدل الزيت للثقب

كتب بعضهم الى مجلة العلم الشهرية للعامّة يقول جاءني واحد بانبوب من النحاس الاحمر سمك جداره $\frac{1}{8}$ بوصة وطلب مني ان اثقب فيهِ ١٥ ثقباً بالمثقب الذي عددهُ ٨٠ وهو ادق من الدبوس وكان عندي ١٢ نصلة بهذه الدقة فوضعت واحداً منها في المثقب ولما اكد اشرع في ثقب النحاس به حتى انكسر وانفرط كالزجاج فوضعت نصلاً آخر بدلاً منهُ بعد ان زيتهُ فتكسر مثل سابقهِ فاستعملت الماء والصابون بدل الزيت فكانت النتيجة واحدة وجعلت اجرب مادة بعد اخرى فانكسرت النصال كلها وبقي عندي نصل واحد فوضعت على مكان الثقب قليلاً من اللبن واعملت النصل فثقب النحاس بسهولة ثم

ثقبت به ثقباً ثانياً وثالثاً الى آخر الثقوب الخمسة عشر فثبت لي ان اللبن افضل المواد لتزييت المثاقب الصغيرة لان فيه قليلاً من الدهن وكثيراً من الماء فيزيت المثقب ويبرّده في وقت واحد

ما مسح من الارض

تبلغ مساحة اليابسة من سطح هذه الكرة ٦٠ مليون ميل مربع وقد مسح بعضها ورسمت لهُ الخرط ولم يمسح البعض الآخر حتى الآن . وهذا المسح على نوعين (١) المسح المدقق وهو مبنيٌّ على القياسات العلمية الدقيقة . و (٢) غير المدقق وهو مبنيٌّ على اوصاف السيّاح الذين لم يتندبوا للمسح خصيصاً . وقد كانت مساحة اليابسة التي مسحت ووضعت لها الخرط الدقيقة سنة ١٨٦٠ نحو $\frac{1}{30}$ من الجزء الذي لم يمسح فصارت الآن سبعهُ . وكانت مساحة الجزء الذي مسح مسحاً غير مدقق سنة ١٨٦٠ نحو $\frac{1}{3}$ من المجموع فصارت الآن نصفهُ . وكانت مساحة الارض التي لم تمسح البتة نصف اليابسة سنة ١٨٦٠ فصارت سبعها الآن

سبات الحيوانات

من الحيوانات ما يقضي فصل الشتاء في سبات عميق يدوم اشهراً . وقد ذهب العلماء مذاهب في تعليل هذا السبات منذ عهد كونراد جسنر في اواسط القرن السادس عشر . واشار ارسطو ومعاصروهُ قبل المسيح الى هذا الموضوع وقالوا فيهِ اقوالاً لا طائل تحتها وآخر من كتب فيهِ كاتب اميركي اسمهُ الدكتور رامونسن فانهُ اصدر كتاباً خصّص فيهِ كلّ ما كتب قديماً وحديثاً في سبات الحيوانات ولم يبدِ رأياً في ذلك بل اقتصر على القول انهُ لا بدّ قبل اصدار حكم صادق في هذه المسئلة من معرفة بعض المقدمات والعلاقات التي لا تزال مجهولة . ومما قالهُ في كتابهِ ان بعض العلماء يذهب الى ان هذا السبات ليس الاّ حدّاً متطرفاً من النوم العاديّ يختلف عنهُ في كميتهِ ومقداره لا في كيفيتهِ ونوعهِ . على ان النوم العاديّ نفسهُ لا يعرف لهُ سبب كافٍ ولم يعلّل تعليلاً فسيولوجيّاً وافياً

منبّه غريب

لسنا نعرف هنا من انواع المنبهات الاّ منبه الساعات الدقاقة الذي يستعمل لتنبيه النائم من نومهِ في الساعة التي يشاؤها . ولكننا قرأنا في احدى الصحف العلمية وصفاً لمنبّه غريب في بابهِ يوضع في صناديق الحديد الصغيرة التي تحمل باليد وتحتوي على اشياء ثمينة من نقود وجواهر وما اشبه . والغرض من وضعهِ فيها التنبيه اذا استولى عليها احد خلسة او عنوة وذلك ان المنبه مركّب فيها

بطريقة تجعلهُ يرن رنيناً متواصلاً حالما يرتفع الصندوق من مكانهِ ولما كان الصندوق مصنوعاً من الفولاذ ومقفلاً اقفالاً محكماً بقفل متين فلا يستطيع اللص الذي يستولي عليهِ امساك منبههِ بطريقة من الطرق . واذا اراد صاحب الصندوق رفعهُ من مكانهِ من غير ان يدق منبههُ وجب ان يفتحهُ ويحرك ابرة المنبه على كيفية تمنعهُ من الدق

الاوتوموبيل والقذى

مما يبالغ سوّاق الاوتوموبيل في اتقان النظارات التي يلبسونها لاتقاء الغبار ومنعهِ من دخول العين وايذائها بقى الغبار يدخلها ويؤذيها . وافضل طريقة لتنظيف العين منهُ غسلها بمحلول البورق في ماء فاتر اما بواسطة الفنجان المعروف واما بصبها بقطعة من القطن . ولينتبه بوجه خاص الى مسح باطن الجفن الاسفل حيث يجتمع معظم الغبار . وهذا المحلول فضلاً عن كونهِ منظفاً للعين يسكن الالم الحادث من دخول ذرات التراب فيها ويخفف الالتهاب الطبيعي

النور في ذنب البغال

كانت امرأة تسوق اتوموبيلها في امريكا فصدمت قطراً من البغال فقتلت بغلين واصيبت في بجروح كثيرة وتعطل اتوموبيلها فقاضت صاحب البغال فحكم القاضي لها بغرامة كبيرة . قالت المجلة التي نقلنا الخبر عنها اننا نرى صاحب البغال احق بان يأخذ الغرامة من سائقة الاتوموبيل ولكن الظاهر ان القاضي يفهم لغة البغال فاعترفت له بخطائها . ولما شاع الامر استنبط بعضهم مصباحاً صغيراً مثل مصباح البيسكل يربط باعلى ذنب البغل من ورائهِ فيراهُ سائق الاتوموبيل ويتجنبهُ واذا كانت البغال كثيرة امام سائقها وكان الوقت ليلاً رآها كلها ولو كانت بعيدة عنهُ وردها الى الطريق اذا ضلَّتهُ

خبر عن بلون مفقود

ورد في التلغرافات منذ مدة طويلة خبر فقد بلون من بلونات تسبلن بعد عودتهِ من انكلترا وهو البلون المعروف باسم L-19 ولم يعرف اين فقد ولا ما جرى لهُ ولكن بعض الصيادين الهولنديين وجدوا زجاجة مسدودة على بعض سواحل هولندا واذ فيها رسالة من قائد البلون الى رئيسهِ يقول فيها : معي ١٥ رجلاً وليس عندي قارب والبلون يسير متمهلاً ولا استطيع انقاذهُ . وعند عودتنا من انكلترا كان الضباب مخيماً فمرونا بهولندا وعند بلوغنا الدنمرك اطلق الحراس النار علينا وفي الوقت نفسهِ تعطل ثلاث من محركاتنا : الساعة ١ بعد الظهر » ووجد في الزجاجة ايضاً ٥ كتابات من البحرية الى اهلهم

قوة النعامة

ادّعى احد مربي النعام في كليفورنيا باميركا ان النعامة تقدر على جر الاتوموبيل فانكر ذلك عليهِ بعض اصحاب الاتوموبيلات فاتى باكبر نعامة عندهُ وربط بها اتوموبيلاً كبيراً فيهِ ثلاثة رجال كما تربط المركبات بالخيل وركب عليها فسارت بهِ وبالاتوموبيل معاً مسافة غير قصيرة

الغاز بدل البنزين

غلا البنزين في بلاد الانكليز فاستعمل بعض سائقي الاتوموبيلات الكبيرة التي تنقل الركّاب في الشوارع غاز الضوء بدلاً منهُ وذلك بان يوضع كيس كبير من الكاوتشوك على سطح الاتوموبيل ويملأ بغاز الضوء ثم يشعل هذا الغاز حيث كان البنزين يشعل لتحريك آلات الاتوموبيل

الطيران من فرنسا الى لندن

تعددت حوادث طيران الطيارين بين لندن وميدان الحرب في فرنسا ذهاباً واياباً في يوم واحد حتى لقد رووا ان طياراً غادر الخنادق في صبيحة ذات يوم فبلغ لندن في ثلاث ساعات ونصف ساعة فاستحمّ في بعض حماماتها وتغدى في احد فنادقها الكبرى وعاد من حيث اتى في مساء ذلك اليوم

بعثة شكلتون

وصل الى لندن احد عشر رجلاً من رجال بعثة شكلتون التي عادت من الاكتشاف في الانحاء القطبية الجنوبية . وسيصلها قريباً الباقون ما عدا السر ارنست شكلتون فانهُ سافر الى نيوزيلندا لملاقاة السفينة اوروورا . ومعلوم ان رجال البعثة حبسوا في جزيرة الفيل بعد انكسار سفينتهم بهم وانقطعت اخبارهم عن العالم حيناً من الدهر حتى خيف ان يكونوا هلكوا فعاد رئيسهم اليهم ونجاهم بما ابدى من الهمة والاقدام

وصية ارليخ

توفي الاستاذ بول ارليخ المعروف باكتشاف علاج للزهري منذ عهد قريب . وقد نعيناهُ الى القراء في الجزء الماضي وقرأنا بعد ذلك في الصحف العلمية انهُ ترك في وصيتهِ لجامعة غوتنجن الالمانية عشرة آلاف مارك (نحو ٥٠٠ جنيه) تكون راس مال لمساعدة طلبة الطب الفقراء

النيازك في المتحف الاميركي

عدد حجارة النيازك المعروفة في العالم ٦٥٠ حجراً وفي متحف اميركا الوطني ٤١٢ نموذجاً من هذه النيازك كلها

فهرس الجزء الاول من المجلد الخمسين

صفحة

١ الامبراطور فرنسيس جوزف (مصوَّرة)
٩ الشيخوخة وامانيّ حيوية · للدكتور امين ابو خاطر
١٧ الصور المتحركة
٢٠ المشتري في مخاض (مصوَّرة)
٢٣ القدَرية والجبرية · لمحمد افندي حسين هيكل المحامي دكتور في الحقوق
٣١ مناجاة الموتى
٣٦ اليانصيب او اللوتريّة · لنجيب شاهين
٤١ الحبوب وما فيها من الغذاء
٤٤ التكيت والتصوير الهزليّ · لأنطون افندي الجيّل
٥٠ مصر منذ تسعين سنة · لاديتري افندي نقولا
٦١ الاسطول البريطاني واصيب انكلترا من الحرب

---

٦٧ باب تدبير المنزل * ورائة الاخلاق (مصوَّرة) · كشف غشّ الماكولات · الاعتماد على النفس · فوق البيضة · سلب الطبع · فوائد الليمون الحامض (الدمع) · البرد والرطوبة
٧٣ باب الزراعة * استغلال الارض · تحديد اسعار الحبوب · الزيت من بزور الاشجار · انتظام الشعر · تعهد البطاطس · تواسطر · الصبير · التحكم في الجنس
٨١ باب الصناعة * الصناعة المصرية · كيف تلف المال · عيدان الكبريت · زجاج لا يتكسر · مشمعات الدير · المركبة السلسلية · الصيد بالمص · راية دائمة الخفوق · اتومويل كالعقلاء · [illegible] بن الهوائي
٨٧ باب المراسلة والمناظرة * واجب ادبي
٩٠ باب التقريظ والانتقاد * ثورة العرب · المجمع والمجامع · المجلة العربية · صراخ المستغيثين
٩٤ باب المسائل * وفيه ٨ مسائل
٩٧ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٤ نبذة

الدكتور شبلي شميل

مقتطف فبراير ١٩١٧

أمام الصفحة ٥٠